



جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

## أخلاق النصارى في القرآن الكريم

إعداد

محمد ناصر شويكي

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام)، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين.

2022

# أخلاق النصارى في القرآن الكريم

إعداد

محمد ناصر شويكي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2022/00/00م، وأجيزت:

التوقيع	أ. د. عودة عبد الله
التوقيع	المشرف الرئيسي
التوقيع	ادخل الاسم
التوقيع	الممتحن الخارجي
التوقيع	ادخل الاسم
التوقيع	الممتحن الداخلي

## الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى كل عالم ومتعلم ومحِبِّ للعلوم الشرعية عموماً

وعلوم تفسير القرآن خصوصاً

كما أهدي هذا العمل إلى الوالدين كما ربياني صغيراً

وإلى الأخوة والأخوات

وعموم الأصدقاء والأحباب

## الشكر والتقدير

بعد إنجاز هذا العمل يسعدني أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان للمشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور عودة عبد الله الذي أعطاني من وقته كثيراً مقابل ما أعطيته من جهدي قليلاً، وكان له فضل وافر في إبداء كل نصيحة وقيمة علمية أثرت في هذه الرسالة، كما أبرق شكراً وتقديراً إلى أعضاء لجنة المناقشة اللذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وأشكر كذلك الأساتذة الكرام في كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية، كما أشكر الصديق الدكتور تقي الدين التميمي الذي أجرى قلمه في التدقيق اللغوي لهذه الرسالة.

## الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

### أخلاق النصارى في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: محمد ناصر شويكي

التوقيع:

التاريخ: 2022/03/24

## قائمة المحتويات

الإهداء.....	ج
الشكر والتقدير.....	د
الإقرار.....	هـ
قائمة المحتويات.....	و
الملخص.....	ط
مقدمة.....	1
<b>الفصل الأول: مفهوم الأخلاق ومكانتها في الديانة النصرانية.....</b>	<b>6</b>
المبحث الأول: التعريف بالأخلاق.....	6
المطلب الأول: معنى الأخلاق في اللغة والاصطلاح.....	6
المطلب الثاني: أفاظ ذات صلة بالأخلاق.....	9
المبحث الثاني: التعريف بالنصرانية.....	13
المطلب الأول: معنى النصرانية في اللغة والاصطلاح.....	13
المطلب الثاني: أفاظ ذات صلة بالنصارى.....	15
المبحث الثالث: مكانة الأخلاق عند النصارى.....	20
<b>الفصل الثاني: أخلاق النصارى المحمودة في القرآن الكريم.....</b>	<b>25</b>
المبحث الأول: أخلاق النصارى المحمودة باعتبار السلوك.....	25
المطلب الأول: الأمانة.....	25
المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....	26
المطلب الثالث: المسارعة في الخيرات.....	28
المطلب الرابع: التواضع.....	30
المطلب الخامس: النصره.....	33
المبحث الثاني: أخلاق النصارى المحمودة باعتبار القلب.....	36
المطلب الأول: الخضوع لله.....	36
المطلب الثاني: مودة المؤمنين.....	39
المطلب الثالث: الفرح بالحق.....	41
المبحث الثالث: أخلاق النصارى المحمودة باعتبار الفكر.....	45
المطلب الأول: الشهادة بالحق.....	45
المطلب الثاني: اتباع الحق.....	48
<b>الفصل الثالث: أخلاق النصارى المذمومة في القرآن الكريم.....</b>	<b>51</b>
المبحث الأول: الأخلاق المذمومة باعتبار السلوك مع الله.....	51

51	المطلب الأول: الافتراء على الله
54	المطلب الثاني: الصد عن سبيل الله
56	المطلب الثالث: نقض العهود
58	المبحث الثاني: الأخلاق المذمومة باعتبار السلوك مع الناس
58	المطلب الأول: الاختلاف
61	المطلب الثاني: الكيد
64	المطلب الثالث: الخيانة
67	المطلب الرابع: ترك النهي عن المنكر
68	المطلب الخامس: العدا والبغضاء
70	المطلب السادس: أكل أموال الناس بالباطل
71	المطلب السابع: البخل
73	المبحث الثالث: الأخلاق المذمومة باعتبار السلوك مع النفس
74	المطلب الأول: تزكية النفس
75	المطلب الثاني: خداع النفس
78	المبحث الرابع: الأخلاق المذمومة باعتبار القلب
78	المطلب الأول: الحسد
81	المطلب الثاني: النَّم
83	المطلب الثالث: الفرح بالباطل
85	المبحث الخامس: الأخلاق المذمومة باعتبار الفكر
85	المطلب الأول: التعصب
91	المطلب الثاني: العناد والمجادلة والإعراض
96	المطلب الثالث: كتمان الحق
100	المطلب الرابع: تحريف الحق
103	المطلب الخامس: الغلو في الدين
<b>106</b>	<b>الفصل الرابع: كيفية التعامل مع النصارى بناء على معرفة أخلاقهم</b>
106	المبحث الأول: كيفية التعامل مع النصارى المسالمين والمحاربين
106	المطلب الأول: كيفية التعامل مع النصارى المسالمين
109	المطلب الثاني: كيفية التعامل مع النصارى المحاربين
112	المبحث الثاني: مجالات التعامل مع النصارى
112	المطلب الأول: التعامل مع النصارى على أساس حسن العلاقة والسلوك
115	المطلب الثاني: التعامل مع النصارى في مجال المال
117	المطلب الثالث: التعامل مع النصارى في مجال العبادة

119	المطلب الرابع: التعامل مع النصارى في مجال الاعتقاد.....
122	الخاتمة .....
124	قائمة المصادر والمراجع.....
<b>B</b>	<b>Abstract</b> .....

# أخلاق النصارى في القرآن الكريم

إعداد

محمد ناصر شويكي

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

## الملخص

تعد الأخلاق من الأسس التي أكد الإسلام عليها، وهي ليست مرتبطة بالمسلمين فحسب بل ترتبط بالبشرية جمعاء، فكانت هذه الدراسة التي تتحدث عن أخلاق النصارى في القرآن الكريم في جانبها المحمود والمذموم، وقد فصلت آيات القرآن الكريم هذه الأخلاق بين مدح للأخلاق الحميدة وأمر الأمة الإسلامية بالالتزام بها والافتداء بالسابقين في هذه الأخلاق وبيان جزاء ملتزمها في الدنيا والآخرة وبين ذم لمن اتصف بالأخلاق الذميمة ونهي الأمة الإسلامية عن الاتصاف بمثل هذه الأخلاق وبيان جزاء وعاقبة من تشمله هذه الأخلاق في الدنيا والآخرة.

والمأمل في آيات القرآن الكريم يرى شمولية تلك الآيات في الحديث عن الأخلاق عامة لتشمل الاخلاق المتعلقة بالسلوك والقلب والفكر، ولم يكتف القرآن الكريم بالحديث عن الأخلاق، بل بين أسس تعامل المسلمين مع غيرهم، وقد حظي التاريخ الإسلامي بمئات من الشواهد التي تبين حسن تعامل المسلمين مع غيرهم من المجتمعات عامة والنصارى خاصة.

يندرج هذا البحث ضمن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم الذي يشمل جمع الآيات في موضوع واحد ثم استقراء هذه الآيات وبيان ما تحمله من دلالات وأحكام شرعية تصلح لبناء المجتمعات وفق أسس سليمة بعيدة عن النزاع والشقاق والافتراق، وهدفت الدراسة إلى بيان أثر أخلاق النصارى وانعكاسها على سلوكهم، وأثر تلك الأخلاق على المجتمعات التي أحاطت بهم، فكانت الأخلاق الحميدة سبباً في تقدم المجتمع

وازدهاره، والأخلاق الذميمة سبباً في الحروب والنزاعات المختلفة، ولتحقيق هدف الدراسة فقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

وقد خرجت بمجموعة من النتائج، ومنها: ثناء القرآن الكريم على الأخلاق الحميدة للنصارى، مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمسارة في الخيرات، والتواضع، والخضوع وغيرها من الاخلاق، وأن أكثر الأخلاق المذمومة عند النصارى كانت التعصب والغلو في الدين.

كما خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات، ومنها: إجراء دراسة مقارنة بين تناول القرآن الكريم لأخلاق النصارى وبين تناول الكتاب المقدس ومعرفة جوانب الالتقاء والافتراق، وحاجة المكتبة العربية إلى تأصيل بحث يقيس حقيقة هذه الأخلاق عند النصارى المعاصرين، ومدى التزامهم بالأخلاق الحميدة وتجنب الأخلاق المذمومة.

**الكلمات المفتاحية:** أخلاق النصارى، التفسير الموضوعي، أخلاق النصارى المحموده، أخلاق النصارى المذموم، كيفية التعامل مع النصارى، مجالات التعامل مع النصارى، صفات النصارى.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن الله قد رفع العلم وأهله فقال - عز وجل -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ الْمَلِكِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَخَازِرُ الْأَخِرَةَ وَيَجُودُ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ (الزمر: 9)، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه: 114).

وإن من حق العلماء السابقين على طلاب العلم، أن يحملوا علمهم وينشروه، وإن من أهم الأمور في ذلك: إخلاص النية لله، والحرص على فهم مراده تعالى ومراد رسوله، والصبر في طلب العلم، والعمل به، والتحلي بأدابه.

لذا شمرت عن ساعد الجد، وبدأت أبحث عن موضوع لرسالة الماجستير، وبعد البحث والاستشارة ارتأيت أن يكون ذلك في تخصص التفسير الذي هو من تخصصات أصول الدين، وأن يكون في التفسير الموضوعي، فبحثت فوجدت أن موضوع (أخلاق النصارى في القرآن الكريم) موضوعاً مناسباً لذلك.

## أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة في كونها تتعرض لبيان أخلاق أهل ديانة من أوسع ديانات الأرض انتشاراً، وكون هذا التعرض من خلال أعظم كتاب وكلام وهو كلام الله عز وجل في أعظم كتبه وخاتمها وهو القرآن الكريم، فأهمية هذه الدراسة عائدة إلى أهمية موضوعها وأهمية مصدرها الرئيس وهو القرآن الكريم، وتتضح أهميتها أيضاً من خلال ما يستفاد من هذا البحث في معرفة كيفية التعامل مع أهل هذه الديانة في دعوتهم وهداياتهم، فترجع أهمية اختيار هذه الدراسة إلى:

- 1- عدم وجود دراسة متخصصة وشاملة في (أخلاق النصارى في القرآن الكريم).
- 2- الديانة النصرانية هي من أكثر الديانات الحالية من حيث الأتباع.
- 3- دراسة أخلاق النصارى التي تحدث عنها القرآن الكريم لها أهمية كبيرة في معرفة كيفية التعامل معهم.
- 4- الرغبة في المساهمة في الكتابات والأبحاث الرافدة لجانب التفسير الموضوعي للقرآن.

## مشكلة الدراسة:

تتضح مشكلة الدراسة في الحاجة للإجابة على الأسئلة الآتية:

- 1- هل يوجد سمات أخلاقية للنصارى رغم خلافنا معهم في العقيدة؟
- 2- هل أنصف القرآن خصومه؟
- 3- ما أوجه الالتقاء والافتراق بين النصارى والمسلمين في الأخلاق؟
- 4- ما مجالات الأخلاق التي ذكرها الله للنصارى في القرآن الكريم؟
- 5- ما الطريقة المتبعة في معاملة النصارى بناءً على أخلاقهم؟

## أهداف الدراسة:

تقصد الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- بيان الأخلاق التي ذكرها القرآن الكريم للنصارى على سبيل المدح.
- 2- بيان الأخلاق التي ذكرها القرآن الكريم للنصارى على سبيل الذم.
- 3- إيضاح صفات ذوي الأخلاق المحمودة والمذمومة في الآيات الواردة في النصارى في القرآن الكريم.
- 4- معرفة مجالات الأخلاق التي ذكرها الله للنصارى في القرآن الكريم.
- 5- بيان طريقة تعامل المسلمين مع النصارى.

## منهج الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال الخطوات الآتية:

1. استقراء آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن أخلاق النصارى.
2. مراجعة بعض التفاسير عند استشكال فهم بعض الآيات لمعرفة مدى مناسبة إدراجها في هذا البحث.
3. ترتيب الأخلاق وتصنيفها تبعاً لكونها أخلاقاً محمودة أو مذمومة، وأيضاً كونها وصفاً لمجموعهم أو لطائفة منهم.
4. عزو الأحاديث الشريفة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فيكتفى بذلك، وإن لم يكن فيهما، فيتم عزوه إلى كتب الحديث المعتمدة، مع بيان حكم الأئمة عليه.
5. توثيق النقول من مصادرها الأصلية.
6. ذكر خاتمة للبحث تبين فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.
7. وضع فهرس لمحتويات الدراسة.

## حدود الدراسة:

تتناول هذه الدراسة أخلاق النصارى في القرآن الكريم، وهي ضمن التفسير على وجه العموم، والتفسير الموضوعي على وجه الخصوص.

وهذه الدراسة بعيدة عن الجانب العقدي للنصرانية، وذلك لم يتطرق الباحث لعقيدة النصارى في القرآن الكريم ولا في كتب التفسير، كما وتخلو الدراسة من شريعة النصارى وفقهم، ولذلك حصرت في الجانب الأخلاقي. ولا علاقة لهذه الدراسة بالأديان والملل المذكورة في نصوص الوحي: كاليهود وغيرهم، وإنما هي مختصة في النصارى وحسب، كما أن الباحث ذكر أخلاق النصارى المذكورة في القرآن الكريم، ولم يذكر الأخلاق التي وردت في السنة النبوية إلا تبعاً.

## الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة تجمع أخلاق النصارى في القرآن الكريم، وتأكدت من ذلك من خلال البحث في المكتبات والإنترنت وكتاب (ببلوغرافيا التفسير الموضوعي)، وإنما وجدت الحديث عن أخلاقهم عرضاً في كتب العقيدة، والكتب التي تحدثت عن الديانة النصرانية، وما كان في بحث من ست وثلاثين ورقة بعنوان (صفات النصارى في الخطاب القرآن)، وأما الدراسة الموسعة والمتخصصة في أخلاقهم في القرآن الكريم، فلم أجد شيئاً في ذلك. ومن أهم الدراسات المتعلقة بهذه الدراسة:

1. العقائد النصرانية في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)<sup>1</sup>، رسالة ماجستير تحدثت كاتبها عن عقيدة النصارى ومصادرها، وألوهية المسيح عند النصارى ونقض ذلك، وكذلك تحدثت عن بعض عقائد النصارى المزعومة ونقضها، كعقيدة التثليث وعقيدة الفداء، فقد تناولت هذه الرسالة الحديث عن بعض جوانب الأخلاق الفكرية لدى النصارى كالغلو والتعصب.

---

<sup>1</sup> انظر: سلامة، أشرف إبراهيم عليان: العقائد النصرانية في القرآن الكريم، إشراف د. أحمد العمصي، (غزة: الجامعة الإسلامية، 2008).

2. الأخلاق المسيحية: كتاب تناول مؤلفه جملة من أخلاق النصارى: كالمحبة، والرجاء، والإيمان<sup>1</sup> فتحدث عنها من وجه نظر المسيحيين، بخلاف هذا البحث الذي تناول الحديث عن أخلاق النصارى من خلال القرآن الكريم.

3. صفات النصارى في الخطاب القرآني (دراسة موضوعية تحليلية)<sup>2</sup>، بحث محكم تناول كاتبه الحديث عن ست صفات وأخلاق للنصارى هي: التواضع، والرأفة، والمودة، والأمانة، والفسق، وكرمان الحق، وقد تحدث الكاتبان عن هذه الصفات من خلال تتبع بعض الآيات القرآنية الواردة فيها، وتحليلها والتعليق عليها من خلال تفسير الرازي في الغالب.

4. الحوار مع أهل الكتاب في العهد النبوي وعلى أي شيء نتحاور؟<sup>3</sup> بحث محكم تتبع كاتبه الحوارات التي حدثت بين المسلمين وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تساءل الكاتب عن الغاية والهدف من الحوارات التي تحدث اليوم بين المسلمين وأهل الكتاب.

5. المفردة القرآنية: مصطلح "النصارى" ومرادفاته في الخطاب القرآني (دراسة لآراء فخر الدين الرازي)<sup>4</sup>، بحث محكم تناول كاتبه دراسة الاسم الأنسب لأتباع عيسى عليه السلام، وهل يشترط فيه أن يكون مذكوراً في الإنجيل أم يكفي أن يصطلح عليه الناس ويتعارفونه؟ وكذلك تتبع الباحثان المصطلحات التي يطلقها القرآن على أتباع عيسى عليه السلام، مثل مصطلح: "النصارى"، و"أهل الكتاب"، و"بنو إسرائيل"، وقد تحدثت هذه الدراسة عن ذلك باختصار في أحد جوانبها.

---

<sup>1</sup> انظر: منزيدي، جورج: الأخلاق المسيحية، ترجمة: ميشال نجم، ص: 130.

<sup>2</sup> انظر: توري، سيكو مارفا، والعرفي، شكران سعيد: صفات النصارى في الخطاب القرآني، (ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، العدد 9، 2014م).

<sup>3</sup> انظر: محمود، عصام السيد: الحوار مع أهل الكتاب في العهد النبوي وعلى أي شيء نتحاور، (ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، العدد 3، 2012م).

<sup>4</sup> انظر: توري، سيكو مارفا، وبيلم، مختار، المفردة القرآنية: مصطلح "النصارى" ومرادفاته في الخطاب القرآني، (ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، العدد 16، 2016م).

## الفصل الأول

### مفهوم الأخلاق ومكانتها في الديانة النصرانية

#### المبحث الأول: التعريف بالأخلاق

#### المطلب الأول: معنى الأخلاق في اللغة والاصطلاح

#### أولاً: معنى الأخلاق في اللغة

قال ابن فارس: الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء.

فأما الأول فقولهم: خلقت الأديم للسقاء، إذا قدرته.

ومن ذلك الخُلُق: وهي السجية؛ لأن صاحبه قد قدر عليه<sup>1</sup>.

وقال ابن منظور: الخُلُق الخليفة أعني الطبيعة، وفي التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:4) والجمع:

أخلاق، لا يُكسَّر على غير ذلك. والخُلُق والخُلُق: السجية يقال خالص المؤمن وخالق الفاجر<sup>2</sup>، وفي الحديث:

"ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن"<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ت 395هـ: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1979م)، 212/2-213.

<sup>2</sup> انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي، ت 711هـ: لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط3، 1994م)، 1245/2.

<sup>3</sup> ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: 241هـ: مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م)، حديث رقم: 27555، 537/45، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح. والترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، ت 279هـ: سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، (مصر، مصطفى البابلي الحلبي، ط2، 1975)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث: 362/4، 2002، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

## ثانياً: معنى الأخلاق في الاصطلاح

عرّف ابن مسكويه الخلق بأنه: "حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرويّة والفكر، ثم يستمر أولاً فأولاً، حتى يصير ملكة وخلقاً"<sup>1</sup>.

وعرفه الغزالي بقوله: "الخلق: هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"<sup>2</sup>.

وقد عرف أحد الباحثين المعاصرين الأخلاق في نظر الإسلام بأنها "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"<sup>3</sup>.

والتعريف الذي اختاره الباحث للأخلاق هو:

"الخلق هو قوة راسخة في الإرادة تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح (إن كان الخلق حميداً)، أو إلى اختيار ما هو شر وجور (إن كان الخلق ذمياً)"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، ت: 421هـ: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، (مكتبة الثقافة الدينية، ط1)، ص: 41.

<sup>2</sup> الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، ت: 505هـ: إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة)، 54/3.

<sup>3</sup> يالجن، مقداد: التربية الأخلاقية الإسلامية، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1977م)، ص: 75.

<sup>4</sup> دراز، محمد عبد الله، ت: 1958م: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، (الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1980)، ص: 88.

وموضوع الأخلاق: "هو كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد"<sup>1</sup>.

ويمكن تقسيم الأخلاق إلى الأنواع الآتية<sup>2</sup>:

1- الأخلاق الغريزية: وهي الأخلاق التي يولد الإنسان بها بالفطرة، بدليل قول رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟

قَالَ: بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ"<sup>3</sup>.

2- الأخلاق المكتسبة: وهي الأخلاق التي يكتسبها الإنسان من خلال التعلم والتعود، والدليل على ذلك من

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ"<sup>4</sup>.

3- الخلق مع الله عز وجل: ويقصد بهذا النوع القواعد والأسس التي تحكم علاقة كل إنسان بربه، إلى

جانب الآداب التي يجب على كل إنسان التحلي بها وممارساتها في الباطن والظاهر.

4- الخلق مع الناس: وهي الأمور والسلوكيات التي يلتزم بها الإنسان مع الآخرين، فهي بمثابة القواعد التي

تعمل على ضبط علاقة الإنسان مع كل من حوله، وتتمثل في خلق الإنسان مع والديه في المقام الأول،

ومع الأنبياء، ومع المؤمنين، ومع الكفار، ومع الكبار، ومع الأطفال.

5- الخلق مع النفس: وهي الأمور التي يلتزم بها الإنسان مع نفسه في كل ما يشمل الآداب والأخلاق في

السر والعلن.

<sup>1</sup> الخراز، خالد بن جمعة: موسوعة الأخلاق، (الكويت، مكتبة أهل الأثر، ط1، 2009م)، ص: 22.

<sup>2</sup> انظر: منصور، أسماء: مقالة بعنوان: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً، (موقع مقال، <https://mqaall.com>).

<sup>3</sup> أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، ت 275هـ: سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، (دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م)، أبواب النوم، باب ما جاء في قبلة الرجل، حديث رقم: 5225، 512/7، قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

<sup>4</sup> الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ت 360هـ: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة، دار الحرمين)، باب الألف، باب من اسمه إبراهيم، رقم الحديث: 2663، 118/3، حكم الألباني: حديث حسن الإسناد أو قريب منه، انظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ت 1999م: السلسلة الصحيحة، (مكتبة المعارف، ط1)، 127/9، رقم الحديث: 342.

## المطلب الثاني: ألفاظ ذات صلة بالأخلاق

### أولاً: التربية

لقد ذكر العلماء عدداً من الطرق التي يمكن بها تحصيل الأخلاق فكان من أبرزها التربية الأخلاقية، "فلا شك إن مشوار التربية الذي يقطعه الإنسان في عمره في النتيجة النهائية هو الذي يصوغ أخلاقهم"<sup>1</sup>، فما معنى التربية؟ وكيف تكون التربية أخلاقية؟

بالنظر في معجم مقاييس اللغة لابن فارس فإن التربية تعني: النماء والزيادة وعلو النفس، وقد تستخدم في الأمور المادية والمعنوية على حد سواء، لكن استخدامها في الأمور المعنوية أكثر وأبلغ<sup>2</sup>.

والتربية: هي تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه وفق المنهج الإسلامي، وهذا يعني أن التربية الإسلامية تولي جميع جوانب الشخصية بال العناية والتنشئة بغية الكمال وفق ما أراد الله تعالى، ويشمل ذلك الجانب الأخلاقي<sup>3</sup>.

وتكون التربية أخلاقية عندما تقوم على نبذ القيم الفاسدة والتخلي عنها والتدريب على البعد عنها، والقائمة على فهم طبيعة الخلق في الحياة وفهم الرسالة البشرية، ومن ثم التحلي بأرقى القيم وأنقى الفضائل، وهي بمثابة عملية لإصلاح الأخلاق وتقويم ما انحرف من السلوك.

"وهذه التربية لا تتغير ولا يطرأ عليها التبدل أو التغيير من صورة كانت إلى صورة ستكون؛ لأن المنظومة الأخلاقية ثابتة لا تتغير، ولا تتبدل، ولا تتطور، فهي كما هي في كل شريعة ودين، وفي كل زمان؛ فلا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يصبح الكذب والخيانة في زمنٍ ما من الفضائل، أو الصدق والأمانة والتمسك

<sup>1</sup> المنجد، محمد: دروس الشيخ محمد المنجد، (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية)، 15/146.

<sup>2</sup> انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 483/2.

<sup>3</sup> انظر: الحازمي، خالد بن حامد: الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 2004م)، ص: 512.

بالحق من البلاهة والغباء، أو السباب وبذاءة اللسان من الأدب؛ بل إن ما جاء الإسلام بزمه فهو مذموم إلى يوم القيامة، وما جاء بتحسينه ومدحه فهو كذلك إلى يوم القيامة لا يتغير ذلك أبداً<sup>1</sup>.

فالمذموم في التربية النصرانية قولهم: ﴿مَحْنُ أَبْنَاءِ اللَّهِ وَأَجْبُوهُمْ﴾ (المائدة: 18)، أدت إلى أخلاق ذميمة كخلق العصبية حيث جعلوا الجنة لهم فقط بقولهم ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ (البقرة: 111)، وخلق الخيانة في حال استأمنهم المسلمون على أموالهم، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران: 75).

## ثانياً: الآداب

إن من أقرب المصطلحات للأخلاق مصطلح الآداب أو السلوكيات، حتى عرف بعضهم الأخلاق الحسنة "بالآداب والسلوك الحسن"<sup>2</sup>.

ويأتي معنى الأدب في المعاجم "من درّب وعود، فيقال: أدب فلانا على: أي دربه وعوده"<sup>3</sup>، كما يعني به اصطلاحاً: قواعد متبعة في مجال أو سلوك معين، كالأدب الاجتماعية، والآداب العامة<sup>4</sup>، ويشير ذلك إلى أن آداب السلوك تعني "مراعاة التقاليد والأعراف المتبعة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> هندي، عادل: مقالة بعنوان: ماهية التربية الأخلاقية ودورها في تكريس القيم، (موقع الجمعية الشرعية الرئيسية، <https://www.alshareyah.com>).

<sup>2</sup> أبو العزم، عبد الغني: معجم الغني، (موقع معاجم صخر، <https://lexicon.alsharekh.org>)، 1/470.

<sup>3</sup> دوزي، رينهارت بيتر، ت 1300هـ: تكملة المعاجم العربية، تعليق: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، (العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، 2000م)، 95/1.

<sup>4</sup> انظر: عمر، أحمد مختار، ت 1424هـ: معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، ط1، 2008م)، 74/1.

<sup>5</sup> عمر: المصدر السابق، 909/2.

ويرى الباحث أن الفرق بين الآداب والأخلاق هو:

1- الأخلاق تكون فطرية أو مكتسبة، والآداب مكتسبة.

2- الآداب تتعلق بالتعامل مع الآخرين، والأخلاق أوسع من ذلك.

3- الآداب وصف لأمر محمود، غير أن الأخلاق قد تكون محمودة أو مذمومة.

من خلال العرض السابق يتبين أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ

إِلَيْكَ﴾ (آل عمران: 75)، يشير إلى أدب أداء الحق لصاحبه، ويعبر عن خلق محمود هو الأمانة.

### ثالثاً: الصفات

قال ابن فارس: "الصفة: الأمانة اللازمة للشيء"<sup>1</sup>؛ لأن الصفة: مصدر وصفت الشيء أصفه وصفًا، وصفة، مثل: وعد، وعدًا، وعدة<sup>2</sup>.

وباصطلاح أهل اللغة هي "الاسم الدال على بعض أحوال الذات وهي الأمانة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها"<sup>3</sup>، وهي ما وقع الوصف مشتقًا منها، وهو دالٌّ عليها، وذلك مثل العلم والقدرة ونحوه<sup>4</sup>.

وفي محاولة تعريف الأخلاق ترد عبارات توضح الأخلاق بأنها "مجموعة صفات نفسية وأعمال الإنسان التي توصف بالحسن أو القبح"<sup>5</sup>، ولكن هناك فرق بينهما من حيث الاشتقاق، فالصفة نعت عند النحويين، بينما الخلق مصدر، والخلق قد يحمل في طياته عددًا من الصفات الخلقية، ولكن الصفة لا تعبر إلا عن خلق واحد.

<sup>1</sup> ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 6/115.

<sup>2</sup> انظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الحنفي، ت 1094هـ: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة)، ص: 546.

<sup>3</sup> الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، ت 816هـ: التعريفات، تحقيق وضبط جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م)، ص: 133.

<sup>4</sup> الكفوي: الكليات، ص: 546.

<sup>5</sup> عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/688.

مما سبق يتضح أن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد: 27)، قد

تحدث عن صفتي الرأفة والرحمة، ضمن حديثه عن خلق المودة للمؤمنين.

## المبحث الثاني: التعريف بالنصرانية

المطلب الأول: معنى النصرانية في اللغة والاصطلاح

### أولاً: النصرانية في اللغة

ورد ذكر النصارى في المعاجم اللغوية، وذلك في باب "تنصر"، وتعني: "الدخول في النصرانية"<sup>1</sup>، أو القوم الذين سكنوا في الناصرة<sup>2</sup>، والنسبة في الديانة نصراني، وجمعه نصارى<sup>3</sup>.

### ثانياً: النصرانية في الاصطلاح

تعرف النصرانية، بأنها "دين النصارى الذين يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل"<sup>4</sup>.

ويراد بالنصارى من يزعمون أنهم أتباع المسيح عليه السلام سواء في زمنه أو كل من آمن به بعده.

ويرى الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾ (المائدة:14)، أنهم إنما سموا أنفسهم بهذا الاسم ادعاءً لنصرة الله تعالى، وهم الذين قالوا لعيسى ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ (آل عمران:52)، فكان هذا الاسم في الحقيقة اسم مدح، فبين الله تعالى أنهم يدعون هذه الصفة ولكنهم ليسوا موصوفين بها حقيقة<sup>5</sup>.

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يرى عدم استعمال القرآن للفظ النصرانية، والاكتفاء بلفظ النصارى، مما كان له أثر على علماء المسلمين فيما بعد، فحين يتحدثون عن هذا الدين غالباً ما يعنونون له بالنصارى،

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، 6/6661.

<sup>2</sup> انظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، ت 170هـ: كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (دار الهلال)، 7/109.

<sup>3</sup> انظر: ابن منظور: لسان العرب، 6/6661.

<sup>4</sup> الخلف، سعود بن عبد العزيز: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، (الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط4، 2004)، ص: 168.

<sup>5</sup> انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، ت 606: مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1999م)، 11/326.

اعتباراً بالأعيان أو الأتباع فينطلقون من معيار الأتباع، لا معيار الديانة، كما يلاحظ ذلك في كتابات المسلمين قديماً، كالفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، والملل والنحل للشهرستاني.

أما في الكتب المقدسة عند النصارى فلم ترد تسمية النصارى بهذه الصيغة، وإنما وردت بصيغة أخرى، وهي الناصريين<sup>1</sup>، فعيسى عليه السلام يدعى ناصرياً، وتلاميذه كذلك يدعون ناصريين، ولا يخفى أن هذه الصيغة نسبة إلى مدينة الناصرة.

وفي الوقت الحاضر استعملت صيغة "نصارى" بدل من "ناصريين" في ترجمات كتبهم المقدسة ككتاب الدسقولية (تعاليم الرسل) وهو من أقدم كتبهم على الإطلاق، وينسبوه إلى التلاميذ الاثني عشر، فقد ورد فيه هذا الاستعمال في عدد من المواضع، منها: " يجب على النصارى أي المسيحيين أن يغفروا كل زمان خطايا بعضهم بعض، وأن لا يتمسكوا بشيء من الشر في قلوبهم، ولا يفكروا فيه جملة"<sup>2</sup>.

من خلال العرض السابق فإنه يمكن التفريق بين النصارى والناصرانية بما يأتي:

- 1- استعمال القرآن الكريم للفظ النصارى دون النصرانية.
- 2- إن النصارى هم أتباع عيسى عليه السلام وأمته، والناصرانية هي الديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام.
- 3- النصرانية ديانة أنزلت على سيدنا عيسى عليه السلام لقوم بني إسرائيل خاصة، مكمله لرسالة سيدنا موسى عليه السلام، ولكنها تعرضت للتحريف والتغيير.
- 4- انحصر استخدام لفظ النصرانية في العصر الحديث عند المسلمين، فهم من يستعمل هذا اللفظ في كتبهم وحديثهم، غير أن هذا اللفظ لا يستعمل عند النصارى الذين يؤكدون على كلمة مسيحية بدلا من نصرانية، وهذا يظهر من خلال كتبهم وأقوالهم.

<sup>1</sup> انظر: ورد في الإنجيل إِفَانْنَا إِذْ وَجَدْنَا هَذَا الرَّجُلَ مُفْسِدًا وَمُهَيِّجَ فِتْنَةٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَسْكُونَةِ، وَمِقْدَامَ شِبَعَةَ النَّاصِرِيِّينَ (سفر أعمال الرسل: 5/24).

<sup>2</sup> الدسقولية (تعاليم الرسل)، ترجمة: مرقس داود، (القاهرة، مكتبة المحبة، ط5، 1979م)، ص: 90.

## المطلب الثاني: ألفاظ ذات صلة بالنصاري

### أولاً: المسيحية

يظهر للباحث أن دلالة المسيحية تقترب من دلالة النصرانية، لكن الفرق في النسبة، فيراد بالمسيحية الذين اتبعوا المسيح عليه السلام، كما أن النصرانية هي ديانة أتباع عيسى عليه السلام.

وقد ورد في الأناجيل استعمال لفظ "يسوع" كأكثر الألفاظ المستخدمة في الإشارة إلى عيسى عليه السلام، فيسوع هو اسم المسيح في اللغة العبرية، ومن ذلك: **[فَسْتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ حَطَايَاهُمْ] (متى: 21/1)**، بينما استعمل القرآن لفظ "المسيح" كأحد الألقاب للإشارة إليه عليه السلام إذ

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: 45)، وقد تناول الرازي هذا اللفظ بالتحليل والدراسة، فبين أن فيه قولين، هما<sup>1</sup>:

**القول الأول:** أنه غير مشتق، فأصله بالعبرانية (مشيحا)، فعربته العرب وغيروا لفظه، فعيسى أصله يشوع كما قالوا في موسى: أصله بالعبرانية (موشي)، أو (ميشا).

**القول الثاني:** أنه مشتق، وقد ذكر الرازي أسباباً لهذه التسمية، وهي:

- 1- لأنه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ من مرضه.
- 2- لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها.
- 3- لأنه كان يمسح على رأس اليتامى.
- 4- لأنه ما كان في قدمه خمص، فكان ممسوح القدمين.
- 5- لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك يُمسح به الأنبياء.
- 6- لأن جبريل مسحه بجناحه وقت ولادته ليكون ذلك صوتاً له عن مس الشيطان.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 8/222-223.

وقد ورد استعمال هذه الصيغة في ثلاثة مواضع فقط من العهد الجديد، وهي: [فَحَدَّثَتْ أَنَّهُمَا اجْتَمَعًا فِي  
 الْكَنِيسَةِ سَنَةً كَامِلَةً وَعَلَّمَا جَمْعًا غَيْرًا. وَدُعِيَ التَّلَامِيذُ «مَسِيحِيِّينَ» فِي أَنْطَاكِيَّةِ أَوَّلًا] (سفر أعمال الرسل:  
 26/11). و[فَقَالَ أَعْرِبْيَاسُ لِبُولَسَ: بِقَلِيلٍ نُنْفَعُنِي أَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيًّا] (سفر أعمال الرسل: 28/26). و[وَلَكِنْ  
 إِنْ كَانَ كَمَسِيحِيٍّ، فَلَا يَجْزَلُ، بَلْ يُمَجِّدُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ] (رسالة بطرس الرسول الأولى: 16/4). فلماذا  
 يصر النصارى اليوم على استعمال هذه الصيغة للإشارة إلى ديانتهم؟!

إن نظرة المسلمين للمسيح مختلفة عنها لدى النصارى، فالمسيح عند المسلمين نبي ورسول مؤيد بالمعجزات  
 من الله، كالمسح على الأكمه والأبرص لشفائهما بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ  
 جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 49)، بينما غالب النصارى يعتبرون  
 المسيح أقنوم من الأقانيم<sup>1</sup> الثلاثة المقدسة التي يتكون منها إلههم بقولهم: "تؤمن بالله واحد الآب والابن  
 والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساوين في القدرة والمجد، في طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة  
 خواص أزلية، يعلنها الكتاب المقدس -على ما يدعون- في صورة شخصيات "أقانيم" متساوية، قد أعلنها  
 في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم، لكنه قدمها في العهد الجديد واضحاً<sup>2</sup>، وينظر المسيحيون  
 للمسيح أيضاً على أنه حقيقة ثالثة اجتمعت فيها حقيقتا اللاهوت والناسوت<sup>3</sup>، ويتعبير آخر فالمسيح بالنسبة  
 للنصارى إنما هو الله المتجسد -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

<sup>1</sup> الأقانيم جمع أقنوم وهي كلمة يونانية معناها الأصل، وعند أفلوطين هي أحد مبادئ العالم الثلاثة، وهي الواحد والعقل والنفس الكلية.  
 انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، (القاهرة، 1983)، ص: 19. ولها معان أخرى منها أساس أو حامل، كما وتعني جوهراً فرداً  
 باعتباره حقيقة كونية، وقد كان أفلوطين والكنية المسيحيون في عصره قد أدخلوا هذه الكلمة بنحو خاص في اللغة التقنية الفلسفية، وكانوا  
 يطلقونها على الأقانيم الإلهية الثلاثة باعتبارها متميزة جوهرياً، وقد احتفظت في اللغة اللاتينية بمعنى فرد بوجه خاص، وبمعنى شخص  
 معنوي. انظر: أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة أحمد خليل، (بيروت، منشورات عويدات، ط1، 1996م). 574/2.

<sup>2</sup> عبد الملك، بطرس وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، (دار الثقافة، ط10، 1984م)، ص: 232.

<sup>3</sup> انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي  
 الدمشقي، ت 728هـ: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن الألمعي وآخرون، (الرياض، دار الفضيلة، ط1،  
 2004م)، 136/4.

بذلك يتضح أن تسمية "النصارى" نسبة للنصرة، لا ترتقي عندهم مع التصورات المزعومة التي جعلوها للمسيح عبر السنين، فقد عبرت إحدى مخطوطاتهم عن دلالة تسمية النصراني بمسيحي ب "أن السيد شاركنا في أول الأسماء وأعظمها وأكثرها ألوهة، حتى إن المسيحيين تقاسموا اسم المسيح"<sup>1</sup>.

## ثانياً: أهل الكتاب

من الألفاظ المتعلقة بالنصارى صيغة "أهل الكتاب"، وقد ورد ذكرها في القرآن احدى وثلاثين مرة<sup>2</sup>، ويراد بها كما فصل في ذلك الرازي:

1- اليهود والنصارى، وذلك استناداً إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (المائدة: 15)، يقول الرازي:  
"المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى"<sup>3</sup>.

2- اليهود فقط، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ﴾ (النساء: 153).

3- النصارى فقط، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء: 171)، يقول الرازي:  
"والتقدير: يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> آباء الكنائس اليونانية: كتابات الآباء اليونانية، (باريس، 1886م)، 256/46.

<sup>2</sup> انظر: عبد الباقي، محمد فواد، ت 1388هـ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1945م)، ص: 95.

<sup>3</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 326/11.

<sup>4</sup> الرازي: المصدر السابق، 271/11.

4- قد يعم المصطلح، فيشمل الصابئة والسامرة؛ على أساس أن لديهم كتاباً، يقول الرازي في صدد بيانه

أنواع الكفار بعد أن ذكر عبدة الأوثان قال: "وفريق؛ هم أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى والسامرة

والصابئون، وهذان الصنفان سبيلهم في أهل الكتاب سبيل أهل البدع فينا"<sup>1</sup>.

5- وقد يطلق المصطلح بمعنى أضيق من معناه الأصلي، فيقيد به من آمن منهم، كما في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا

يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: 199)، إذ لا يصح حمل هذه الآية على أهل

الكتاب كلهم، لكن يحمل على من آمن منهم، فيصير المعنى: وإن من مؤمني أهل الكتاب، ولا عجب

في هذا إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن

بنبية، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأمن به واتبعه وصدقه، فله أجران"<sup>2</sup>.

إن مصطلح "أهل الكتاب" يُعدُّ اسم مدح لهم، فقد ذكر الرازي أن "هذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل

الألقاب حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله، ونظيره، ما يقال لحافظ القرآن يا حامل كتاب الله، وللمفسر يا مفسر

كلام الله، فإن هذا اللقب يدل على أن قائله أراد المبالغة في تعظيم المخاطب وفي تطيب قلبه"<sup>3</sup>.

يتضح مما سبق أن صيغة "أهل الكتاب" تحمل مدحاً في حق النصارى التي قد يراد بها أيضاً: اليهود، أو

الصائبية، أو السامرة، أو من آمن من النصارى كالنجاشي وغيره.

<sup>1</sup> الرازي: المصدر السابق، 26/16.

<sup>2</sup> البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، ت 256هـ: صحيح البخاري، تحقيق: د مصطفى ديب البغا، (بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1987م)، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، حديث رقم 2849، 1096/3. ومسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت 261هـ: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث)، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، حديث رقم 241، 134/1. متفق عليه، واللفظ لمسلم.

<sup>3</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 251/8.

## ثالثاً: بنو إسرائيل

مصطلح "بنو إسرائيل" من المصطلحات التي يستخدمها القرآن في حديثه عن النصرانية، فيقصد به أبناء يعقوب، قال الشوكاني: "اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام ومعناه عبد الله، لأن إسرا في لغتهم: هو العبد وإيل هو الله"<sup>1</sup>، ويعرف ذلك من خلال السياق كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة: 72)، وهذا قول اليعقوبية من النصارى الذين قالوا: إن مريم ولدت إلهًا، فذكرهم الله في هذه الآية بما قاله المسيح لهم من أنه عبد لله وليس إلهًا<sup>2</sup>، وقد يراد بهذا اللفظ اليهود في مواضع أخرى كما في الآيات التي تناولت قصة موسى، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف: 134).

<sup>1</sup> الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، ت 1250هـ: فتح القدير، (بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1994م)، 87/1.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 480/12.

## المبحث الثالث: مكانة الأخلاق عند النصارى

اتبع الباحث عدداً من الخطوات لمحاولة فهم مكانة الأخلاق عند النصارى، فبدأ بالبحث عن كتب في أخلاق النصارى أو أخلاق المسيحيين عبر الانترنت، فظهرت مجموعة من المقالات، وكتب لا تقدم صورة كاملة عن مكانة الأخلاق لديهم، فسعى نحو مكنتبات الجامعات والمعاهد المسيحية، كمكتبة جامعة بيت لحم، ومكتبة معهد الكتاب المقدس، ثم المقابلة الشخصية مع متخصصين في الديانة المسيحية، فكانت نتائج كل ذلك عدداً من الكتب لم يعتمد الباحث عليها في بحثه؛ لأنها لا تعطي الصورة الواضحة عن أخلاق النصارى، وهي كما يأتي:

1- كتب تناولت عدداً محدوداً من الأخلاق، مثل: المحبة، والرجاء، والإيمان، ككتاب الأخلاق المسيحية: لجورج منزردي.

2- كتب تحدثت عن أخلاقيات مهنية، ككتاب أخلاقيات طب الحياة: تأليف المعهد الإكليريكي.

3- كتب تناولت أحد جوانب تكون الأخلاق، ككتاب: الضمير: لنجيب جرجور.

ولذلك عاد الباحث إلى الكتاب المقدس؛ لأنه يعطي صورة أوضح أكثر من الكتب السابقة عن مكانة الأخلاق لدى النصارى، وفيه أهم مرتكزات وأسس التكوين الخلقي المسيحي، وهي كما يأتي:

### أولاً: الاقتداء بصفات الله

يذكر الكتاب المقدس لدى النصارى صفات الله المتعددة، والتي تعد مصدر الأخلاق المسيحية، مثل: المحبة، والرحمة، والصدق، والحكمة، والأمانة، وغيرها [نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبُّنَا أَوَّلًا] (1 يوحنا: 4/19)، ويتخلل ذلك الحث على الامتثال بهذه الصفات، حتى يكون النصارى على صورة الله ومثاله<sup>1</sup> حسب اعتقادهم [فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ] (متى: 5/48).

<sup>1</sup> انظر: خوري، رفيق، وآخرون: كتاب التربية المسيحية للصف الثاني عشر حسب المنهاج الفلسطيني، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م)، ص: 69.

تعتبر كتب الأخلاق المسيحية عن هذه الركيزة بصيغة "الافتداء بالله"<sup>1</sup> ويتحفظ الباحث على نسبة ذلك لله فالافتداء إنما يكون في حق البشر، ولا يتعجب من ذلك عند إيجاد صفات نقص وذم تنسب لله في كتابهم المقدس، وتذكر الأسفار أن الرب ظهر ليعقوب، وصارعه حتى الفجر: **فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ "قَنِيئِيلَ"** **قَائِلًا: لِأَنِّي نَظَرْتُ اللَّهَ وَجْهًا لَوْجِهِ، وَنُجِّيتُ نَفْسِي** [التكوين: 30/32]، وعندهم أن الرب ينوح ويولول كالنساء، ويمشي عرياناً، وهذا نص كلامهم يروونه على لسان ربهم، أن الله سبحانه وتعالى يقول عن نفسه: **لِهَذَا أَنُوحُ وَأُولُولُ وَأَمْشِي حَافِيًا عُرْيَانًا، وَأُعُولُ كَبَنَاتِ آوَى، وَأَنْتَحِبُ كَالنَّعَامِ** [ميخا: 8/1].

### ثانياً: الافتداء بالسيد المسيح وتلاميذه

يصور الكتاب المقدس المسيح كمثال للأخلاق الفاضلة، فقد كان يجول في كل مكان، وهو يصنع الخير، قولاً وفعلاً، ويدعو النصارى إلى التعلم منه والافتداء به<sup>2</sup> **إِتَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أَرْحِكُكُمْ \* اِحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ \* لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ** [متى: 28/11-30].

وأبلغ ظهور لذلك عندما قدّم المسيح نفسه للفداء تكفيراً عن خطيئة آدم وعن خطايا جميع النصارى كونه ابن الله في عقيدتهم فيما يسمونه عندهم بسر الفداء<sup>3</sup> **لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ** [يوحنا: 13/15].

ومن هنا فقد ركز الكتاب المقدس على قصص أتباع المسيح، كقصة لقائه لبطرس وأندراوس اللذين أصبحا تلميذيه **وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ مَاشِيًا عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ أَخَوَيْنِ: سِمْعَانَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَطْرُسُ، وَأَنْدَرَاوَسَ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ، فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ \* فَقَالَ لَهُمَا: لَمَّا وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمْمَا صَيَّادِي النَّاسِ** [متى: 4/18-19]،

<sup>1</sup> منزريدي: الأخلاق المسيحية، ص: 130.

<sup>2</sup> انظر: الحايك، نزيه، وآخرون: كتاب التربية المسيحية للصف الثالث حسب المنهاج الفلسطيني، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م)، ص: 80.

<sup>3</sup> انظر: حجازين، إبراهيم، وآخرون: كتاب التربية المسيحية للصف الرابع حسب المنهاج الفلسطيني، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م)، ص: 127.

ويصورهم الكتاب المقدس كرسل المسيح الاثني عشر الذين اقتدوا بالمسيح واتبعوه وأخذوا ينشرون رسالته بين الناس، وبالتعميد يصبح النصراني كأحد هؤلاء الأتباع<sup>1</sup>.

### ثالثاً: إلهامات الروح القدس

الروح القدس هو الأفتنوم الثالث في الثالوث المقدس عند النصارى، وقد اكتسب هذه المنزلة من ولادة عيسى بقوته، وحلوله في النصارى، فقد أخبر عيسى لتلاميذه قبل رفعه إلى السماء، أنه لن يتركهم يتامى، بل سيرسل لهم الروح القدس؛ كي يرشدهم ويعلمهم ويهديهم للخير<sup>2</sup> [إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لَأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ \* وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحَ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَنْكَلِمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَنْكَلِمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ \* ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ]. [يوحنا: 14-12/16].

يعتقد النصارى أن روح القدس يسكن فيهم، ويلهمهم ويرشدهم، ليكون ثمار ذلك فيهم عدداً من الأخلاق الحميدة هي: المحبة، والفرح، والسلام، والصبر، واللطف، والصلاح، والإيمان، والوداعة، والعفاف<sup>3</sup> [وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلَامٌ، طَوْلٌ أَنَاةٌ، لُطْفٌ، صِلَاحٌ، إِيْمَانٌ، \* وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ] [غلاطية: 23-22/5].

### رابعاً: الوصايا والتطويبات والأمثال

يقدم الكتاب المقدس ملخصاً للحياة الخُلقية في الوصايا العشر التي أعلنها الله في العهد القديم، والتطويبات التي أعلنها المسيح في العهد الجديد، مضافاً لهما جملة من الأمثال بينت تعاليم المسيح عليه السلام، فما المقصود بالوصايا العشر؟ وما المقصود بالتطويبات؟ وماذا يعنى بالأمثال؟

<sup>1</sup> انظر: خزمو، ندى، وآخرون: كتاب التربية المسيحية للصف السادس حسب المنهاج الفلسطيني، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م)، ص: 10-11.

<sup>2</sup> انظر: حنا، عطا الله، وآخرون: كتاب التربية المسيحية للصف العاشر حسب المنهاج الفلسطيني، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م)، ص: 136.

<sup>3</sup> انظر: خوري، رفيق: كتاب التربية المسيحية للصف الثاني عشر حسب المنهاج الفلسطيني، ص: 71.

الوصايا العشر: هي عشر نصائح أعطها الله لموسى عليه السلام على جبل سيناء؛ لتنظيم علاقة الإنسان بالله وبإنفسه، وبالآخرين، وتتلخص بكلمة واحدة، هي المحبة، وهي: أنا هو الربّ إلهك، لا يكن لك إلهٌ غيري، لا تحلف باسم الله بالباطل، احفظ أيام الآحاد والأعياد، أكرم أباك وأمك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تشته امرأة قريبك، لا تشته مقتنى غيرك<sup>1</sup>، [أنا الربّ إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية \* لا يكن لك إلهةٌ أخرى أممي...](سفر الخروج: 1/20-17، التثنية: 5/6-21).

التطويبات: تسع عبارات قالها المسيح عليه السلام تبدأ بكلمة "طوبى"، أخبرها للناس عندما صعد على جبل في الجليل مع تلاميذه، وقد سمي هذا الجبل جبل التطويبات، وبنيت عليه كنيسة، سميت كنيسة التطويبات<sup>2</sup>، وهي: [طوبى للمساكين بالروح، لأنّ لهم ملكوت السمّوات \* طوبى للحزائي، لأنّهم يتعزّون \* طوبى للودعاء، لأنّهم يرثون الأرض \* طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، لأنّهم يشبعون \* طوبى للرحماء، لأنّهم يرحمون \* طوبى للإنقياء القلب، لأنّهم يعاينون الله \* طوبى لصانعي السلام، لأنّهم أبناء الله يدعون \* طوبى للمطرودين من أجل البرّ، لأنّ لهم ملكوت السمّوات \* طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كلّ كلمة شريّة، من أجلي، كاذبين](متى: 5/3-11).

الأمثال: مجموعة قصص قصيرة عموماً، ضربها المسيح عليه السلام من خلال نشاطه العلني، توصل عبرة للناس بأسلوب بسيط، كمثل السامري الصالح الذي يدعو إلى مساعدة الآخرين [إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا، فوقع بين لصوص، فعروه وجرحوه، ومضوا وتركوه بين حيّ وميت... ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه، ولمّا رآه تحنّن \* فنقّدهم وضمد جراحاته...](متى: 10/30-37)، ومثل العبد القاسي الذي يدعو إلى مسامحة الآخرين، وغيرها من الأمثال<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الحايك، نزيه: كتاب التربية المسيحية للصف الثالث حسب المنهاج الفلسطيني، ص: 76.

<sup>2</sup> انظر: الحايك، نزيه: المصدر السابق، ص: 90-91.

<sup>3</sup> انظر: الحايك، نزيه: المصدر السابق، ص: 85.

## خامساً: الضمير

يعرف الضمير بأنه صوت داخلي يدعو إلى عمل الخير وتجنب الشر<sup>1</sup>، ومن الأمثلة على أثر الضمير في الأخلاق في الكتاب المقدس: سؤالات الناس الذين دعاهم يوحنا المعمدان عندما وصل نهر الأردن<sup>2</sup> [فَجَاءَ إِلَى جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْأُرْدُنِّ... وَسَأَلَهُ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ: فَمَاذَا نَفْعَلُ؟ \* فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيْسَ لَهُ، وَمَنْ لَهُ طَعَامٌ فَلْيُفْعَلْ هَكَذَا \* وَجَاءَ عَشَارُونَ أَيْضًا لِيَعْتَمِدُوا فَقَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا نَفْعَلُ؟ \* فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ \* وَسَأَلَهُ جُنْدِيُّونَ أَيْضًا قَائِلِينَ: وَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَظْلِمُوا أَحَدًا، وَلَا تَسُوا بِأَحَدٍ، وَاكْتَفُوا بِعَلَائِفِكُمْ] (لوقا: 3/3-14).

يلاحظ مما سبق:

- 1- أن الأخلاق النصرانية بنيت على ركائز قوية ذكرها الكتاب المقدس، أخرجت مثلاً مميّزاً يشهده العالم اليوم من جميل أخلاقهم، لا يخرج عنه إلا كل نصراني عاصٍ في دينه.
- 2- يتحفظ الباحث على بعض أصول معتقدات أسس تكون الأخلاق لدى النصارى، كحلول روح القدس في الإنسان المؤمن وإرشاده له.
- 3- تلتقي بعض هذه الأسس مع الدين الإسلامي الذي توسع في الأخلاق أكثر من الديانة النصرانية، ففي الإسلام مئات الطاعات التي تشمل الوصايا العشر وتتعداها.
- 4- توجد فجوة في الأخلاق بين المسلمين والنصارى في عصرنا الحالي، فنلاحظ تقدم النصارى على المسلمين في جوانب أخلاقية، وقد يتقدم المسلمون على النصارى في جوانب أخلاقية أخرى، مردها التطبيق لتلك الأخلاق والتربية في المجتمعات، والالتزام فيها، فالمسلم الملتزم بدينه تخرج عنه أخلاق حميدة تتعدى أي إنسان يلتزم بدين أو معتقد أو فكر آخر.

<sup>1</sup> انظر: قلنجي، محمد رواس، وقتيبي، حامد صادق: معجم لغة الفقهاء، (دار النفائس، 1988م)، ص: 285

<sup>2</sup> انظر: خزمو، ندى: كتاب التربية المسيحية للصف السادس حسب المنهاج الفلسطيني، ص: 28-29.

## الفصل الثاني

### أخلاق النصارى المحمودة في القرآن الكريم

#### المبحث الأول: أخلاق النصارى المحمودة باعتبار السلوك

تتبع الباحث أخلاق النصارى المحمودة باعتبار السلوك، فوجدها متأصلة في القرآن الكريم مع اختلاف المفسرين أحياناً في المخاطب من تلك الآيات، ولعل ارتداد النصارى على أعقابهم في تلك الأخلاق جعل المفسرين يختلفون في بيان حقيقة المخاطب، فيفترض التزام النصارى بالأخلاق الحسنة باعتبارهم أصحاب ديانة سماوية، لكن طبيعة البشر تميل إلى الابتعاد عن تعاليم الدين وخاصة بعد وفاة الرسل المرسله إليهم.

#### المطلب الأول: الأمانة

تتضح الأمانة عند النصارى في قول الحق: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ (آل عمران: 75)، فيظهر جلياً من الآية أن الله وصفهم بأنّ فيهم أمانة وخيانة، "فمن أسلم منهم وصف بالأمانة ومن لم يسلم وصف بالخيانة"<sup>1</sup>. وذكر أصحاب التفسير أن الموصوف بالأمانة في الآية هو من أسلم من أهل الكتاب، قال مقاتل: الأمانة ترجع إلى من أسلم منهم، والخيانة إلى من لم يسلم<sup>2</sup>، وقد بينت الآية جزاء الملتزم بالأمانة من النصارى بأنها سبيل لكسبهم محبة الله تعالى<sup>3</sup>، وقبول شهادتهم على أهل الكتاب أو الكفار، قال الجصاص: "من الناس من يحتجّ بذلك في قبول شهادة بعضهم على بعض؛ لأن الشهادة ضربٌ من الأمانة، كما أن بعض المسلمين لما كان مأموناً جازت شهادته فكذلك الكتابي، فمن كان منهم موصوفاً بالأمانة دلّ على جواز قبول شهادته على الكفار"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، ت 333هـ: تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005م)، 409-407/2.

<sup>2</sup> انظر: مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ت 150: تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م)، 177/1.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 265/8.

<sup>4</sup> الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي، ت 370هـ: أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1985م)، 298/2.

## المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بين المفسرون من خلال قوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ... وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: 113-114) أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معنيين، وهما: عام وخاص، فالمعنى العام: أشار إليه الرازي بقوله: "الغاية القصوى في الكمال أن يكون تاماً وفوق التمام فكون الإنسان تاماً ليس إلا في كمال قوته العملية والنظرية، وكونه فوق التمام أن يسعى في تكميل الناقصين، وذلك بطريقتين، إما بإرشادهم إلى ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف، أو بمنعهم عما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر، فيأمرون بالمعروف أي بتوحيد الله وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر أي ينهون عن الشرك بالله، وعن إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، واعلم أن لفظ المعروف والمنكر مطلق فلم يجز تخصيصه بغير دليل، فهو يتناول كل معروف وكل منكر"<sup>1</sup>، وأما المعنى الخاص فهو الإيمان بنوة محمد صلى الله عليه وسلم أو النهي عن تكذيبها، "فيأمرون بالمعروف" تعني: الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، "وينهون عن المنكر" تعني: عن التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم، أشار إلى ذلك مقاتل<sup>2</sup> والطبري<sup>3</sup>.

وقد ظهر خُلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند النصارى في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ... وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: 113-114)، وفائدة استعمال "من" في الآية هو أنه وصفهم بصفات ذميمة في الآيات السابقة لهذه الآية، فقد وصفهم بالذلة والمسكنة وغيرها من الصفات، فأراد سبحانه بيان أنه ليس كل أهل الكتاب كذلك، فعدد ثماني صفات

<sup>1</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 8/233-234.

<sup>2</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 1/187.

<sup>3</sup> انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، ت 310هـ: جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م)، 7/130.

وأخلاق فاضلة في حق فريق منهم؛ كان من بينها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقصد بأهل الكتاب في الآية السابقة:

- 1- عموم اليهود والنصارى، "وعليه الجمهور: أن المراد بها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام"<sup>1</sup>،
- 2- فئة مخصوصة من أهل الكتاب، كابن سلام وأصحابه الذين أسلموا، فعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ومنحوا فيه، قالت: أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله هذه الآية<sup>2</sup>، أو أنها نزلت في قوم كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء، أو نزلت في أربعين من أهل نجران واثنتين وثلاثين من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم<sup>3</sup>.

وأنكر الطبري أن تكون الصيغة في هذه الآية عامة لليهود والنصارى، فقال: إن الموصوفين بهذا الخلق "ليسوا كاليهود والنصارى، الذي يأمرون الناس بالكفر، وتكذيب محمد فيما جاءهم به"<sup>4</sup>، والتفريق الموجود في بداية الآية في قوله تعالى (ليسوا سواءً) يوضح أنه يتحدث عن فريق مخصوص من أهل الكتاب، فليست الصيغة بعمومها ولكن بخصوصها.

- 3- كل من أوتي الكتاب من أهل الأديان، وبذلك يكون المسلمون من جملتهم<sup>5</sup>، ومما يدل على هذا ما رواه ابن مسعود، قال: "أخّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، قال: "أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحدٌ يذكر الله هذه الساعة غيركم"،

<sup>1</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 231/8.

<sup>2</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 187/1. وانظر الطبري: جامع البيان، 120/7.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 231/8.

<sup>4</sup> الطبري: جامع البيان، 130/7.

<sup>5</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 231-232.

قال: وأُنزل هؤلاء الآيات **لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** حتى بلغ **﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾**<sup>1</sup>.

وذكر الرازي<sup>2</sup> ثمرتين للالتزام بهذا الخلق في تفسيره للآيات التي تسبق وتلي هذه الآية، وهي:

1- الوصف بالصلاح في قوله تعالى: **﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** (آل عمران: 114)، وهذا الوصف

غاية المدح وبدل عليه القرآن والمعقول، فمن القرآن مدح الله تعالى بهذا الوصف أكابر الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام فقال بعد ذكر إسماعيل، وإدريس، وذو الكفل، وغيرهم: **﴿وَأَدَّخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا**

**إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** (الأنبياء: 86)، وأما المعقول فهو أن الصلاح ضد الفساد، وكل ما لا

ينبغي أن يكون فهو فساد، سواء كان ذلك في العقائد، أو في الأعمال، فإذا كان كل ما حصل من باب

ما ينبغي أن يكون، فقد حصل الصلاح، فكان الصلاح دالاً على أكمل الدرجات.

2- لن يكفروه أي لن يمنعوا ثواب وجزاء عملهم هذا لقوله تعالى: **﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾** (آل

عمران: 115).

يتضح مما سبق أن الله تعالى وصف فريقاً من النصارى بخلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل

يشهد لهم الواقع المعاصر بهذا الخلق من خلال حملات التبشير؟ سيتعرض الباحث لذلك في المطلب

التالي.

### المطلب الثالث: المسارعة في الخيرات

ورد الحديث عن خلق المسارعة في قوله تعالى: **﴿مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ... وَيَسْرِعُونَ فِي**

**الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** (آل عمران: 113-114)، فيتبين أن هذا الخلق يوصف به فريق

<sup>1</sup> أحمد، مسند أحمد، حديث رقم: 3760، 304/6، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 8/224-235.

من النصارى الذين لو التزموا به لكانوا من أهل الصلاح، وأثبوا عليه، فما معنى المسارعة في الخيرات؟ وما الفرق بين السرعة والعجلة؟ وهل يشير واقع النصارى اليوم إلى مسارعته في الخيرات؟

بين الرازي<sup>1</sup> أن في المسارعة وجهين هما:

1- أنهم يتبادرون إلى الخيرات خوف الفوت بالموت.

2- يعملونها غير متناقلين.

وأصل المسارعة المبادرة، وتستعمل بمعنى الرغبة، واختيار صيغة المفاعلة للمبالغة، والخيرات هي الأعمال الصالحة، واستعمال هذه الصيغة فيه تعريضٌ بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم إلى الشرور، ويفيد تعدي المسارعة بـ"في" للإيدان بأنهم مستقرّون في أصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لا أنهم خارجون عنها منتهون إليها<sup>2</sup>، وقد عبر القرآن عن هذا الخلق بالمسارعة وليس العجلة، وذلك لسببين:

1- السرعة مخصوصة بأن يقدم ما ينبغي تقديمه، والعجلة مخصوصة بأن يقدم ما لا ينبغي تقديمه<sup>3</sup>،

فالمسارعة مخصوصة بفرط الرغبة فيما يتعلق بالدين، لأن من رغب في الأمر، أثر الفور على التراخي،

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (آل عمران: 133)، وأيضاً العجلة ليست مذمومة

على الإطلاق بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (طه: 84)<sup>4</sup>.

2- اختلاف المقابل، فمقابل السرعة الإبطاء، ويقال: فلان أسرع، وعلان أبطأ. ومقابل "العجلة" هو "الأناة"

فيقال: فلان تأنى في اتخاذ القرار. فالسرعة ممدوحة ومقابلها وهو "الإبطاء" مذموم، "العجلة" مذمومة،

ومقابلها وهو التأني ممدوح<sup>5</sup>، فناسب التعبير عن ذلك بالمسارعة وليس العجلة.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 234/8.

<sup>2</sup> انظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ت 982هـ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، 74/2. والألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ت 1270هـ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م)، 250/2.

<sup>3</sup> انظر: الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، ت 460هـ: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (موقع الجامعة الإسلامية)، 565/2.

<sup>4</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 234/8.

<sup>5</sup> انظر: الشعراوي، محمد متولي، ت 1418هـ: تفسير الشعراوي، (مطابع أخبار اليوم، 1997)، 1690/3.

وفي عصرنا الحالي يروج النصارى للتبشير كأحد وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيعرفون التبشير بأنه جهد منظم لنشر الديانة المسيحية عن طريق أفراد أو جماعات، يطلق عليهم اسم مبشرين، وهم: الذين يجتهدون أنفسهم للقيام بمهمات التبشير، سواء أكانوا من العاملين أو العاملات في السلك الكنسي أو المتطوعين والمتطوعات من ذوي الاختصاصات الأخرى، وذلك عن طريق الدعوة إلى النصرانية صراحة، أو عن طريق عدد من الوسائل التي تدس فيها الأفكار التبشيرية<sup>1</sup>.

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية تنفق ملايين الدولارات على الخدمات الصحية، والاجتماعية، والأزمات، والكوارث الطبيعية، وتأسيس المدارس النصرانية، والكنائس، والأديرة، وتأليف الكتب وتوزيع المنشورات، ومساعدة المجتمعات الفقيرة والنامية، كدول القارة السوداء، ومؤتمرات، وغيرها من الوسائل<sup>2</sup>.

وحقيقة هذه الحملات تظهر من خلال ما قاله "صمويل زويمر" الذي يعد رئيس المبشرين في الشرق في مؤتمر القدس عام 1935م، بعد أن شرح له أعضاء المؤتمر العقبات الكثيرة التي اعترضت سبيل المبشرين التي لم تسمح لهم بأن يخرجوا المسلمين عن دينهم، ويدخلوهم في المسيحية، فقال مبيناً لهم غاية التبشير ومهمته بأنها: "ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتهم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها"<sup>3</sup>.

#### المطلب الرابع: التواضع

يظهر خلق التواضع في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

<sup>1</sup> انظر: حنبكة الميداني، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي، ت 1425هـ:—: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، (دمشق، دار القلم، ط8، 2000م)، ص: 57.

<sup>2</sup> انظر: العفاني، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله: وا محمداه إن شانك هو الأبت، (مصر دار العفاني، ط1، 2006م)، 166/4-173.

<sup>3</sup> النل، عبد الله: جذور البلاء، (بيروت، دار الإرشاد، ط1، 1971م)، ص: 275-276.

قَيْسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿المائدة: 82﴾، وقد وصف الله النصارى بأنهم: "لا يستكبرون"، ومن لا يستكبر فهو متواضع، قال ابن عاشور: "والاستكبار: السين والتاء فيه للمبالغة، وهو يطلق على التكبر والتعظيم، ويطلق على المكابرة وكراهية الحق، وهما متلازمان، فالمراد من قوله "لا يستكبرون" أنهم متواضعون منصفون"<sup>1</sup>، وقال السمرقندي: "لا يتعظمون على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، فهم بذلك أقرب للمؤمنين لتواضعهم للحق إذا عرفوه"<sup>2</sup>.

وذكر المفسرون أن الموصوف في الآية:

1- النجاشي وأصحابه الذين أسلموا معه، وعليه الجمهور: فعن سعيد بن جبير، قال: بعث النجاشي وفدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا، قال: فأُنزل الله تعالى فيهم: وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا... إلى آخر الآية، قال: فرجعوا إلى النجاشي فأخبروه، فأسلم النجاشي، فلم يزل مسلما حتى مات، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَحَا لَكُمْ قَدْ مَاتَ، فَفُؤْمُوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ"<sup>3</sup> فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والنجاشي بالحبشة<sup>4</sup>.

2- قوم مخصوصون من النصارى، فقد "نزلت في قوم من أهل الكتاب كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى عليه السلام، فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به"<sup>5</sup>.

3- عموم من أسلم من النصارى، قال مقاتل: "نزلت في أربعين رجلا من مؤمني أهل الإنجيل، منهم اثنان وثلاثون رجلا، قدموا من أرض الحبشة مع جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، وثمانية نفر قدموا من الشام، معهم بحيرى الراهب، وأبرهة، والأشرف، ودريس، وتمام، وقسيم، ودريد، وأيمن، والقسيسون الذين

<sup>1</sup> ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، ت 1393هـ: التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية، 1984م)، 8/7.

<sup>2</sup> السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ت 373هـ: بحر العلوم، 412/1.

<sup>3</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، حديث رقم 953، 657/2.

<sup>4</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 499/10.

<sup>5</sup> الجصاص: أحكام القرآن، 109/4.

يخلقون أواسط رؤوسهم، وذلك أنهم حين سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: ما أشبه هذا بالذي كنا نتحدث به، عن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، فبكوا وصدقوا بالله عز وجل ورسله<sup>1</sup>.

4- عموم النصارى: ويرشد لذلك أن مذهب النصارى وتربيتهم عدم الإيذاء بخلاف اليهود وما يعرف عنهم من لين قلوبهم، وكونهم أقل مظهرة للمشركين من اليهود<sup>2</sup>، وقولهم في الآية "إنا نصارى" تثبت التواضع لجميع أهل ملة النصرانية في ذلك العصر، وقد كان نصارى العرب متحلين بمكارم من الأخلاق، قال النابغة يمدح آل النعمان الغساني وكانوا متنصرين:

محلّتهم ذاتُ الإله، ودينهم قويمٌ، فما يرجون غيرَ العواقبِ  
ولا يحسبون الخيرَ لا شرَّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضربةً لأزب<sup>3</sup>

وظاهر قوله "إنا نصارى" أن هذا الخلق وصف للنصارى كلهم من حيث إنهم نصارى<sup>4</sup>، ولو أريد به الذين أسلموا، لكانت العبارة "إنا مسلمون".

وعلاوة التواضع عند النصارى تظهر عند سؤالهم عن الأخلاق فتكون إجابتهم: **إمَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَأَعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ أَيضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَائِكَ فَلَا تَمْنَعُهُ تَوْبَكَ أَيضًا**[لوقا: 29/6]، فقد أشار قولهم هذا إلى جملة من الأخلاق كالتواضع والتسامح واللين وبريون أبناءهم عليها، حتى قال عنهم الثعالبي: "وهذا الخلق موجودٌ فيهم حتى الآن، واليهوديُّ متى وجد عزًّا طغى، وتكبر<sup>5</sup>، فإذا تربي الفرد على خلق التواضع فإن ذلك منبع لكثير من الأخلاق الحميدة، منها خلق المودة كما أشار الله إلى العلاقة بينهما بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ

<sup>1</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 316/1.

<sup>2</sup> انظر: البيهقي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ت 510هـ: معالم التنزيل في تفسير، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، (دار طيبة، ط4، 1997م)، 85/3. والرازي: مفاتيح الغيب، 413/12.

<sup>3</sup> النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرة بن عوف بن سعد الغطفاني، ت 18ق.هـ: ديوان النابغة الذبياني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1996م)، كليني لهم يا أميمة، ص: 32-33.

<sup>4</sup> انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، 8/7.

<sup>5</sup> الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، ت 875هـ: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1998م)، 411/2.

أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ... وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة:

82)، وفي المقابل فإن التربية على خلق ذميمة كالكبر في قولهم ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا

أَوْ نَصْرِيًّا ﴿١١١﴾ (البقرة: 111) أدى بهم إلى أخلاق ذميمة أخرى كالعصبية والحسد والخيانة، وغيرها.

### المطلب الخامس: النصر

يظهر خلق النصر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَ

مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴿١٤﴾ (الصف: 14)، والنصرة من النصر: ويشمل إعلان الدين

والدعوة إليه<sup>1</sup>، والأنصار: هم الذين ينصرون الله، أو هم الذين يختصون بأنبيائه ويكونون معهم في نصرته

دينه<sup>2</sup>، وأما حال أصحابها، فهو الإيمان بالله بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: 52)، والاستسلام والانقياد

لأنبيائه بقولهم: ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 52)، ويرجع سبب طلب عيسى عليه السلام

النصرة من الحواريين إلى ثلاثة أقاويل ذكرها الماوردي<sup>3</sup>، وهي:

1- للحماية من الكفار الذين أرادوا قتله حين أظهر دعوته.

2- ليتمكن من إقامة الحجة وإظهار الحق.

3- لتمييز المؤمن الموافق من الكافر المخالف.

ويقصد بقول الحق "من أنصاري إلى الله" أي: من يتبعني مع الله، كقوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ

هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ (الشعراء: 13)، يعني معي هارون<sup>4</sup>، ف"إلى" هنا بمعنى "مع"، قال هذا أكثر أهل اللغة، أو

<sup>1</sup> انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 3/255.

<sup>2</sup> انظر: الماتريدي: تفسير الماتريدي، 2/380. والرازي: مفاتيح الغيب، 29/533.

<sup>3</sup> انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت 450هـ: النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت، دار الكتب العلمية)، 1/396.

<sup>4</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 1/177.

بمعنى من أنصاري حال ذهابي إلى الله أو حال التجائي إلى الله، أو يقصد بذلك من أنصاري إلى أن أبين أمر الله تعالى، وإلى أن أظهر دينه وتكون "إلى" هاهنا غاية<sup>1</sup>.

و"الْحَوَارِيُّونَ" هم "صفوة الأنبياء عليهم السلام الذين خلصوا وأخلصوا في التصديق بهم ونصرتهم"<sup>2</sup>، وأحدُهم "حواري"، وكانوا اثني عشر رجلاً، وقيل: إنهم كانوا ملاحين يصطادون السمك<sup>3</sup>، أو قصارين يبيضون الثياب ويصبغونها<sup>4</sup>، أو الملوك<sup>5</sup>، وقد جمعهم الرازي بقوله: "ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك، وبعضهم من القصارين، وبعضهم من صيادي السمك، والكل سماوا بالحواريين"<sup>6</sup>.

وأما جزء الحواريين الذين التزموا بالنصرة:

1- أنهم جعلوا قدوة ومثلاً لأتباع محمد صلى الله عليه والسلام ولأمته، قال تعالى: ﴿يَتَّيِبُهُا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ

اللَّهُ ۗ﴾ (الصف:14).

2- إظهارهم على الكافرين، أي أن من آمن بعيسى ظهر على من كفروا به فأصبحوا غالبين على أهل

الأديان، فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وأن عيسى كلمة

الله وروحه، أي: ظاهرين بالحجة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 8/233.

<sup>2</sup> الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، ت 311هـ: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1988م)، 1/417.

<sup>3</sup> انظر: السمرقندي: بحر العلوم، 1/217.

<sup>4</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 1/177، والثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت 427هـ: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م)، 3/76.

<sup>5</sup> انظر: ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت 597هـ: زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2002م)، 1/286.

<sup>6</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 8/234.

<sup>7</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 29/533.

فيظهر مما سبق أن هذا الخلق لم يعم وصفه لجميع النصارى، فقد وصف به الحواريون فقط على الرغم من كون هذا الخلق أحد أسباب تسمية ديانتهم بهذا الاسم.

## المبحث الثاني: أخلاق النصارى المحمودة باعتبار القلب

يتعلق هذا المبحث بأخلاق قلبية حميدة اقترنت بالنصارى الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وتتمثل هذه الأخلاق القلبية بالخضوع لله تعالى، ومودة المؤمنين، والفرح بالحق الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الاخلاق الحميدة لا تظهر بجلاء على الإنسان غير أن لها علامات يمكن أن نعرفها، وما دام القرآن الكريم هو من أصل هذه العلامات ووضحها فكان حرياً أن تكون فيهم، وفي هذا المبحث سيتناول الباحث الموضوع من خلال المطالب الآتية:

### المطلب الأول: الخضوع لله

وصف القرآن الكريم النصارى بالخضوع لله في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران: 113)، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: 199)، وقوله: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِلْآدَانِ سُجَّدًا﴾ (الإسراء: 107)، وتظهر دلالة الخضوع في الآتي:

1- "أُمَّةٌ قَائِمَةٌ"، والمقصود بـ "قائمة" أي: قائمة في الصلاة، كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان: 64)، أو ثابتة على التمسك بالدين الحق<sup>1</sup>، أو يقصد بذلك أنها مستقيمة عادلة، من قولك: أقمت العود فقام بمعنى استقام، أو المقصود أنها مهتدية مطيعة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 187/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 332/8.

<sup>2</sup> انظر: مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، ت 104هـ: تفسير مجاهد، تحقيق: د محمد عبد السلام أبو النيل، (مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط1، 1989م)، ص: 258. وأبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري، ت 209هـ: مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزكين، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1962م)، 102/1. والطبري: جامع البيان، 123/7.

2- ﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ﴾ (آل عمران: 199)، والمقصود به: أنهم خاضعين لله بالطاعة، مستكينين له بها

متذللين<sup>1</sup> خائفين متواضعين<sup>2</sup>.

3- ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (الإسراء: 107). والمقصود به: أن الذقن مجمع اللحيين، وكلما بيتدئ

الإنسان بالخروج إلى السجود فأقرب الأشياء من الجبهة إلى الأرض الذقن<sup>3</sup>، والأذقان كناية عن اللحي،

فالإنسان إذا بالغ عند السجود في الخضوع والخشوع ربما مسح لحيته على التراب فإن اللحية يبالغ في

تنظيفها فإذا عرفها الإنسان بالتراب فقد أتى بغاية التعظيم، وفي ذلك كناية عن غاية الخوف والخشية

لله، والإنسان إذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الأرض في معرض السجود كالمغشي

عليه ليكون خروجه على الذقن في موضع السجود<sup>4</sup>.

وقوله تعالى و"يخرون للأذقان سجدا" بدلاً من "يسجدون"؛ لبيان مسارعتهن إلى ذلك حتى إنهم يسقطون،

وقوله "للأذقان" ب "اللام" بدلاً من "على الأذقان"؛ لأن العرب تقول إذا خر الرجل فوق على وجهه: خر

للذقن<sup>5</sup>.

4- ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران: 113). والمقصود به: سجود الصلاة، فيعني أنهم يتلون آيات الله

أثناء الليل، وهم مع ذلك يسجدون، أو يقصد بذلك أنهم يصلون؛ لأن القراءة لا تكون في السجود ولا في

الركوع، أو يعني أنهم يخضعون، فالسجود: هو الخضوع<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 500/7.

<sup>2</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 211/1. ومكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، ت 437هـ: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، (الشارقة، جامعة الشارقة، ط1، 2008م)، 1209/2.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 577/17. والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ت 538هـ: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1987م)، 699/2. والرازي: مفاتيح الغيب، 417/21.

<sup>4</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 417/21.

<sup>5</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 418/21.

<sup>6</sup> انظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، ت 207هـ: معاني القرآن، تحقيق: أحمد بوسف النجاتي وآخرون، (مصر، دار الكتب المصرية، ط1)، 231/1. والطبري: جامع البيان، 129/7. والماتريدي: تفسير الماتريدي، 460/2.

وأما مظاهر خضوعهم لله:

- 1- إيمانهم به، في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: 199).
- 2- إيمانهم بالقرآن، في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ (آل عمران: 199).
- 3- إيمانهم بالتوراة والإنجيل، في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ (آل عمران: 199).
- 4- عدم تفریطهم بأحكامه، وعدم بيعها بأي عرض من أعراض الدنيا، في قوله: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: 199).
- 5- سجودهم له، وتلاوتهم آيات كتابه، في قوله: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ سَاجِدُونَ﴾ (آل عمران: 113).

وأما جزاء من التزم بهذا الخلق فهو أن الله يذخر لديه ثواب طاعتهم له حتى يصيروا إليه في القيامة، فيوفيههم ذلك<sup>1</sup> بقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: 199)، وسرعة حسابه "كأنه قد جاء"<sup>2</sup> فهو عالم بجميع المعلومات، فيعلم ما لكل واحد من الثواب والعقاب<sup>3</sup>، وعند إيمانهم بالقرآن والتوراة والإنجيل فإنهم يدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأمن به واتبعه وصدقته، فله أجران"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 501/7.

<sup>2</sup> مقاتل: تفسير مقاتل، 211/1.

<sup>3</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 473/9.

<sup>4</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، حديث رقم 2849، 1096/3. ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الممل بملته، حديث رقم 241، 134/1. متفق عليه، واللفظ لمسلم.

## المطلب الثاني: مودة المؤمنين

يظهر خلق المودة للمؤمنين من خلال قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بَأْتٍ مِنْهُمْ قَبِيْسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: 82) فالآية تتحدث عن النجاشي وأصحابه عند جمهور المفسرين<sup>1</sup>، أو عن فئة مخصوصة من النصارى عند بعضهم<sup>2</sup>، أو عن عموم من أسلم منهم عند آخرين<sup>3</sup>، أو عن عموم النصارى عند من أخذ بظاهر اللفظ<sup>4</sup>.

ومعنى المودة في الآية السابقة: المحبة<sup>5</sup>، وسبب ذكرها في الآية أن الله أراد تخفيف أمر اليهود على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فذكر لهم عداوة اليهود للمسلمين التي فاقت عداوة مشركي العرب، ليذكر بعدها حال النصارى كونهم ألين عريكة من اليهود وأقرب إلى المسلمين منهم، وعلة هذا التفاوت أن اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا، والنصارى في أكثر الأمر معرضون عن الدنيا مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة والتكبر والترفع، وكل من كان كذلك فإنه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم ولا يخاصمهم، بل يكون ألين العريكة في طلب الحق سهل الانقياد له<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 499/10.

<sup>2</sup> انظر: الجصاص: أحكام القرآن، 109/4.

<sup>3</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 316/1.

<sup>4</sup> انظر: البغوي: معالم التنزيل في تفسير، 85/3. والرازي: مفاتيح الغيب، 413/12.

<sup>5</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 498/10.

<sup>6</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 414-413/12.

وأما أسباب مودتهم للمؤمنين فهي:

1- أن منهم القسيسين، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ﴾ (المائدة: 82)، وهم: علماء النصارى<sup>1</sup>، أو عبّادهم<sup>2</sup>، أو رؤسائهم<sup>3</sup>، أو الصديقون<sup>4</sup>، أو رافع الصوت بالقراءة منهم<sup>5</sup>، وقيل بأن تسميتهم بذلك ترجع إلى مبالغتهم في تتبع العلم، فالقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل<sup>6</sup>.

2- أن منهم الرهبان، لقوله تعالى: ﴿وَرُهَبَانًا﴾ (المائدة: 82)، وهم: عباد النصارى، أو زهادهم<sup>7</sup>، أو الخائفين من الله تعالى منهم<sup>8</sup>، وترجع تسميتهم بذلك إلى: ترهيبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة ومتحملين كلفاً زائدة على أنفسهم، بالتخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها<sup>9</sup>، والنتزه عن الشهوات فيها<sup>10</sup>.

وقد عرف العرب حُسن أخلاق القسيسين والرهبان وتواضعهم وتسامحهم، وكانوا منتشرين في جهات كثيرة من بلاد العرب يعمّرون الأديرة والصوامع والبيع، وأكثرهم من عرب الشام الذين بلغتهم دعوة النصرانية على طريق الروم، فقد عرفهم العرب بالزهد ومسالمة الناس وكثر ذلك في كلام شعرائهم<sup>11</sup>، قال النابغة:

لو أنها عرضت لأشمط راهبٍ      عبدَ الإله، ضرورةً، متعبدٍ

<sup>1</sup> انظر: السمرقندي: بحر العلوم، 412/1

<sup>2</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 502/10.

<sup>3</sup> انظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، 200/2.

<sup>4</sup> انظر: الماتريدي: تفسير الماتريدي، 572/3.

<sup>5</sup> انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت 745هـ: البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر، 2000م)، 345/4.

<sup>6</sup> انظر: أبو السعود: ارشاد العقل السليم، 71/3.

<sup>7</sup> انظر: الماتريدي: تفسير الماتريدي، 572/3. والماوردي: النكت والعيون، 58/2.

<sup>8</sup> انظر: السمرقندي: بحر العلوم، 412/1.

<sup>9</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 473/29. وابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، ت 606هـ: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت، المكتبة العلمية، 1979م)، 280/2.

<sup>10</sup> انظر: الغزالي: إحياء علوم الدين، 265/1.

<sup>11</sup> انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 7/7.

لرنا لبهجتها، وحسن حديثها ولخاله رشداً وإن لم يرشداً<sup>1</sup>

فإن قيل: كيف مدحهم الله تعالى بذلك مع قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ (الحديد: 27)، أجاب الرازي عن ذلك بقوله: "إن ذلك صار ممدوحاً في مقابلة طريقة اليهود في المساواة والغلظة، ولا يلزم من هذا القدر كونه ممدوحاً على الإطلاق"<sup>2</sup>.

3- التواضع، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: 82)، فهو أحد أسباب مودتهم.

4- الرأفة والرحمة، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد: 27)، ويقصد بهما المودة، وتكون مودتهم مع بعضهم بعضاً، كما وصف الله أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بذلك في قوله: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: 29)<sup>3</sup>، أو مع جميع الخلق<sup>4</sup>، وترشد تعاليم كتابهم المقدس لذلك، منها: [لِكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ] (لوقا: 27/6)، و[مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ أَيضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلَا تَمْنَعُهُ ثَوْبَكَ أَيضًا] (لوقا: 29/6).

ينضح مما سبق أن المودة من الأخلاق التي ذكرها الله في حقهم مقيدة بالمؤمنين، أو حتى مطلقة كما تشير لذلك تعاليمهم، وهذه المودة لها أسباب شهد الله بتأثيرها فيهم.

### المطلب الثالث: الفرح بالحق

إن المتأمل في الآيات القرآنية يرى بجلاء أن الله تعالى وصف طائفة من النصارى بأنهم يفرحون بالحق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (الرعد: 36)، ثم إن علامات هذا الفرح تتجسد من خلال الدموع في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ

<sup>1</sup> النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، أمن آل مية رائج أو معتد، ص: 109.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 414/12.

<sup>3</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 327/3. والثعالبي: الجواهر الحسان، 394/5.

<sup>4</sup> انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، ت 774هـ: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة، ط2، 1999م)، 29/8.

مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ (المائدة: 83)، وقوله:  
﴿وَيَخْرُجُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: 109).

وأما المقصود بهذه الطائفة من خلال الآيات فقد ذكر المفسرون:

1- النجاشي وأصحابه<sup>1</sup>، وذلك عندما قرأ جعفر الطيار سورة مريم على النجاشي وقساوسته، فأخذ النجاشي تينة من الأرض وقال: والله ما زاد على ما قال الله في الإنجيل مثل هذا، وما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة<sup>2</sup>.

2- قوم آخرون من أهل الكتاب الذين أسلموا، وفي ذلك قولان:

أ. هم أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، يؤمنون به وينتهون إليه، فلما بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فصدقوا وآمنوا به وعرفوا الذي جاء به أنه الحق من الله فأثنى عليهم بذلك<sup>3</sup>.

ب. هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم خروا سجداً، ومنهم: زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام<sup>4</sup>.

3- عموم الذين آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً، أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وفرحوا بالقرآن، لأنهم آمنوا به وصدقوه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 508/10.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 414/12.

<sup>3</sup> انظر: ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، ت 327هـ: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1999م)، 1184/4.

<sup>4</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 417/21.

<sup>5</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 47/19.

وأما دلائل فرحهم بالحق:

1- فيضان العيون بالدمع، لقوله تعالى: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ ۗ﴾ (المائدة: 83). ويقصد به: أن أعينهم تمتلئ من الدمع حتى تفيض؛ لأن الفيض أن يمتلئ الإناء وغيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، أو أن يكون المراد المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها<sup>1</sup>.

2- سجودهم باكين خاشعين، لقوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: 109)، وقوله سبحانه: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (الإسراء: 105)، وقد كرر الله قوله "ويخرون للأذقان" لبيان اختلاف الحالين، ففي الأولى: خرورهم في حال كونهم ساجدين، وفي الثانية: خرورهم في حال كونهم باكين<sup>2</sup>، أو لأن تكرار القول دلالة على تكرار الفعل منهم، أي خرورهم للسجود وفي حال كونهم باكين عند استماع القرآن، فذكر مرتين اهتماماً بما صحبه من علامات الخشوع<sup>3</sup>.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: "عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>4</sup>.

3- إيمانهم بالله، وتمني أن يجعلهم الله ممن يشهد لأنبيائه يوم القيامة أنهم قد بلّغوا أمهم رسالات ربهم، لقوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا لَمَعَانٌ فَلَا تَجْعَلْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: 83)<sup>5</sup>.

وأما سبب هذا الفرح وفيضان الدموع فهو لمعرفتهم بأن الذي ينلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله إلى رسول الله الحق المصدق لما معهم، والموصوف في كتبهم موعودين ببعثته صلى الله عليه وسلم، لذلك كانوا

<sup>1</sup> انظر: الزمخشري: الكشاف، 670-669/1.

<sup>2</sup> انظر: الزمخشري: المصدر السابق، 700/2.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 418/21، وابن عاشور: التحرير والتنوير، 235/15.

<sup>4</sup> الترمذي: سنن الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، رقم الحديث: 1639، 175/4، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

<sup>5</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 510/10.

ينتظرون إنجاز ذلك الوعد<sup>1</sup>، وتفيد "من" في قوله: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: 83) التبعية،

فتعني أنهم عرفوا بعض الحق وهو القرآن، فأبكاهم الله، فكيف لو عرفوه كله، وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة<sup>2</sup>.

فيتضح مما سبق أن القرآن وصف بهذا الخلق جماعة ممن آمن من النصارى فرحوا بتحقيق وعد الله لهم

ببعثة نبيه عندما قرئت عليهم آيات سورة مريم المصدقة لما عندهم من الحق.

---

<sup>1</sup> انظر: الطبري: المصدر السابق، 507/10. والرازي: مفاتيح الغيب، 418/21+48/19.

<sup>2</sup> انظر: مقال: تفسير مقاتل، 316/1. والزمخشري: الكشاف، 670/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 415/12.

## المبحث الثالث: أخلاق النصارى المحمودة باعتبار الفكر

تتبع الباحث في هذا المبحث الأخلاق الحميدة التي اتصف بها النصارى في القرآن الكريم المتعلقة بالفكر؛ وهذه الاخلاق هي الشهادة بالحق واتباعه، وتعد الشهادة بالحق من الأسس الراسخة التي أكد عليها الدين الإسلامي عبر آيات واضحة جلية تحرم كتمان الحق وعدم إظهاره حتى لو كان هناك بغضة بحق من تشهد له بذلك، ولا يمكن الفصل بين الشهادة بالحق واتباعه؛ لأن من يتصف بالثانية فإنه يتصف بالأولى.

### المطلب الأول: الشهادة بالحق

الناظر في الآيات القرآنية الدالة على الشهادة بالحق عند النصارى يرى أنها تمثلت في الشهادة على نبوة عيسى عليه السلام، وما جاء به من الحق<sup>1</sup>، وعلى أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حقاً<sup>2</sup>، وعلى الأمم أن رسلها قد بلغتها، وعلى الوحدانية لله<sup>3</sup>، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: 52-53)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَنَجْجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَبِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (المائدة: 82-83)، فالموصوف هنا هم الحواريون، فقد ورد ذكرهم في

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 501/10. والسمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المرزوي التميمي الحنفي ثم الشافعي، ت 489هـ: تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض، دار الوطن، ط1، 1997م)، 323/1.

<sup>2</sup> انظر: ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري المالكي، ت 399هـ: تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة، الفاروق الحديثة، ط1، 2002م)، 42/2.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 510/10. والزمخشري: الكشاف، 366/1.

الآيات التي تسبق هذه الآية، ووردت الشهادة بالحق كذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ

مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾ (الرعد: 43)، فدلالة الآية:

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ (الرعد: 43):

1- علماء النصارى<sup>1</sup>، فكل من كان عالماً بالإنجيل علم اشتماله على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه

وسلم، فإذا أنصف ذلك العلم ولم يكذب كان شاهداً على أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول حق من

عند الله تعالى<sup>2</sup>.

2- "عموم النصارى"<sup>3</sup>، فقد أنزلت عليهم كتب قبل القرآن كالتوراة والإنجيل<sup>4</sup>.

3- من أسلم من النصارى، "كسلمان الفارسي، وتميم الداري"<sup>5</sup>، وأنكر الشعبي وعكرمة وجماعة هذا القول،

وقالوا: السورة مكية، وسلمان الفارسي وأصحابه أسلموا بالمدينة، وأيضاً فإن الله تعالى كيف

يستشهد بمخلوق<sup>6</sup>، ويرد على ذلك: أن سورة الرعد ليست كلها مكية، فإن هذه الآية من المدني منها،

وحتى لو كانت السورة كلها مكية، فقد يكون الكلام إخباراً عما سيشهد بهم<sup>7</sup>، وقد ورد استشهاد الله

بالمخلوقين كقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

بِالْقِسْطِ ﴿١٨﴾﴾ (آل عمران: 18).

<sup>1</sup> انظر: الزمخشري: الكشاف، 536/2.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 55/19.

<sup>3</sup> ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، ت 542هـ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م)، 320/3.

<sup>4</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 501/16.

<sup>5</sup> الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت 211هـ: تفسير عبد الرزاق، تحقيق: د. محمود محمد عبده، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م)، 240/2.

<sup>6</sup> انظر: السمعاني: تفسير القرآن، 101/3.

<sup>7</sup> انظر: الألويسي: روح المعاني، 176/13.

وأما معنى الشاهدين في الآيات السابقة، فهو:

1- المخصوصون بأداء الشهادة الذين يزيدون فضلاً عن الحواريين، فقد طلبوا أن يكونوا منهم<sup>1</sup>، بقولهم:

﴿فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: 83).

2- زمرة الأنبياء الذين يشهدون لأممهم<sup>2</sup>، لقوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ

الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: 6)، "وقد أجاب الله دعاءهم وجعلهم أنبياء ورسلا، فأحبوا الموتى، وصنعوا

كل ما صنع عيسى عليه السلام"<sup>3</sup>.

3- المؤمنون الذين شهدوا الله بالتوحيد ولأنبيائه بالتصديق<sup>4</sup>، "والمقصود من هذا أنهم لما أشهدوا عيسى عليه

السلام على إسلام أنفسهم، حيث قالوا: (واشهد بأننا مسلمون) فقد أشهدوا الله تعالى على ذلك تأكيداً

للأمر، وتقوية له"<sup>5</sup>.

وتعد قصة هرقل ملك الروم مع أبي سفيان واحدة من أمثلة الشهادة بالحق: فقد دار حوار طويل بينهما

سأل خلاله هرقل أبا سفيان أسئلة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الدين الذي جاء به، وبعد إجابة

أبي سفيان على هذه الأسئلة، علق هرقل على ذلك قائلاً: "فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ

هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ

عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 235/8.

<sup>2</sup> انظر: الزمخشري: الكشاف، 366/1.

<sup>3</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 235/8.

<sup>4</sup> انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 434/1. والنيسابوري، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن بن الحسين، ت

550هـ: إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995م)، 192/1.

<sup>5</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 235/8.

<sup>6</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 7، 7/1.

يتضح مما سبق، أن هذا الخلق من جملة الأخلاق الفكرية الحميدة التي وصف بها عموم النصارى أو من آمن منهم فقط، وقد تمنوا أن يكونوا من أهله في أكثر من موضع من القرآن، فهل يلتزم به نصارى العصر الحاضر؟

## المطلب الثاني: اتباع الحق

الناظر في الآيات القرآنية التي تحدثت عن الأخلاق الحميدة عند النصارى يجد أنها أشارت إلى خلق اتباع الحق لدى الكثيرين منهم، ومن مظاهر اتباعهم للحق كما ورد في القرآن الكريم:

1- الإيمان بالله، والتوراة والإنجيل، وعدم تفريطهم بأحكام القرآن، وعدم بيعها بأي عرض من أعراض الدنيا، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: 199).

2- اتباع عيسى عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ﴾ (٥٢) رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: 52-53)، فالرسول المقصود هنا هو عيسى عليه السلام، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup> لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: 84).

3- الثبات على إيمانهم، لقوله تعالى: ﴿وَلَنَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَبِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٧) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٧) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ

<sup>1</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 171/1. والنسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، ت 710هـ: تفسير النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، (بيروت، دار النفائس، 2005)، 279/1.

الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ (المائدة: 82-84)، وذلك أنهم لما أسلموا ورجعوا إلى أرضهم، لامهم كفار قومهم، فقالوا: أتركتم ملة عيسى عليه السلام، ودين آبائكم، قالوا: نعم<sup>1</sup>. ومن علامات هذا الثبات إسهاد الله على إسلامهم، لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: 111)، وقدم ذكر الإيمان على الإسلام؛ لأن الإيمان صفة القلب والإسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر، فيعني آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم<sup>2</sup>.

4- تمنى صحبة الصالحين في الجنة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوِّمِ الصَّالِحِينَ﴾ (المائدة: 84)، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه<sup>3</sup>. وأما جزاء من اتبع الحق منهم فهو أن يدخر الله لهم ثواب طاعتهم حتى يصيروا إليه يوم القيامة، فيوفيههم ذلك<sup>4</sup> بقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: 199)، وعند إيمانهم بالقرآن والتوراة والإنجيل، فإنهم يحصلون ضعف أجرهم على هذا الإيمان، وإدخالهم مع الصالحين في جنات وصفها الله بقوله: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: 85).

ومن المواقف العملية للنصارى في اتباع الحق:

1- قصة ورقة بن نوفل مع النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذهبت خديجة معه إليه، فسرد له النبي صلى الله عليه وسلم قصته مع الوحي، فكان من جملة ما أجابه به: "لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 317/1.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 461/12.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 512/10.

<sup>4</sup> انظر: الطبري: المصدر السابق، 501/7.

<sup>5</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 3، 4/1.

2- قصة سلمان الفارسي، فقد ترك أهله وبلده سعياً وراء معرفة الدين الحق؛ فانتقل بين البلدان ليصحب الرجال الصالحين من القساوسة، إلى أن وصف له أحدهم ظهور نبي في بلاد العرب، وجعل له علامات ليتحقق منه، فغادره حتى وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، فسارع ليتحقق من العلامات، فأيقن أنه النبي صلى الله عليه وسلم الذي يبحث عنه فأسلم<sup>1</sup>.

3- قصة النجاشي وأصحابه الذين أرسلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليهم القرآن، فرقوا له، ودخلوا في الإسلام، ثم رجعوا إلى النجاشي معلنين إسلامهم فأسلم معهم، وقد "تَعَى النَّجَاشِيُّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا"<sup>2</sup>.

ينضح مما سبق أن اتباع الحق إنما هو خلق اختص به فئة من النصارى الذين سعوا إليه، وبرهنوا على ذلك بأقوالهم وأفعالهم، لينالوا جزيلاً ثواب الله على ذلك.

---

<sup>1</sup> انظر: أحمد، مسند أحمد، حديث رقم: 23737، 140/39-147، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

<sup>2</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، حديث رقم 1188، 420/1.

## الفصل الثالث

### أخلاق النصارى المذمومة في القرآن الكريم

#### المبحث الأول: الأخلاق المذمومة باعتبار السلوك مع الله

تتبع الباحث الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأخلاق المذمومة للنصارى باعتبار السلوك مع الله تعالى، وهذه الأخلاق كانت من ابتداعهم وتجروهم على الخالق سبحانه، ولاحظ كثرة الأخلاق المذمومة مقارنة بالأخلاق المحمودة لهم، ولعل السبب في ذلك هو ابتعادهم عن تعاليم الدين الحنيف، وعدم وجود الوازع الديني الذي يحثهم على الخير، وبذلك أصبحت تلك الأخلاق جزءاً من حياتهم وواقعهم، وقد ربط الإسلام بين الأخلاق والدين، فالدين كله هو الخلق، وقد عاش النصارى في أزمة أخلاقية تتضح في المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: الافتراء على الله

وصف الله تعالى النصارى بهذا الخلق الذميمة في أكثر من موضع، ومن مظاهر هذا الافتراء:

1- الادعاء بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وذلك بالتأمل في قول الحق: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ

اللَّهِ وَأَحِبُّوهُوَ ﴿المائدة: 18﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى

الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن

قَبْلُ ﴿التوبة: 30﴾. وأسباب اتخاذ الولد ممتعة في حق الله تعالى، "لأن ذلك مناف للإلهية التي

تقتضي الاتصاف بغاية الكمال في الذات والصفات والأفعال"<sup>1</sup>، فالله هو الغني، "وكل من كان غنياً

امتنع أن يكون له أب وأم، وكل من تقدس عن الوالدين وجب أن يكون مقدساً عن الأولاد"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 230/11.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 281/17.

2- الافتراء على أنبياء الله، بادعاء نسبتهم للنصرانية بقولهم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ﴾ (البقرة: 140). وادعاؤهم هذا من

غير برهان ولا دليل؛ لأن النصرانية حدثت بعد هؤلاء الذين سماهم الله من أنبيائه، ولأن الأنبياء جميعاً كانوا على التوحيد والحنيفية، والنصارى على خلاف ذلك<sup>1</sup>.

3- تحريف الإنجيل، وذلك بتغيير ألفاظه، وتشويش دلالات الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه

وسلم؛ بإلقاء الشكوك والشبهات أو بكتابة كتاب بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>2</sup>، قال

تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۗ﴾ (آل

عمران: 78).

4- تزكية النفس باطلاً، فقد ورد فيهم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّبُ

مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُوَظِّمُونَ فَتِيلًا ۗ﴾ (أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إِثْمًا مُّبِينًا) (النساء:

49-50)<sup>3</sup>، فلا تصلح التزكية إلا من الله، "وقد جعل الله افتراءهم الكذب، لشدة تحقق وقوعه، كأنه أمر

مرئى ينظره الناس بأعينهم، وإنما هو مما يسمع ويعقل"<sup>4</sup>.

5- الكذب على الله حال علمهم بالأمر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ

لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۗ﴾ (آل عمران: 78)، أو جهلهم له، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 123/3. والطوسي: التبيان في تفسير القرآن، 488/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 77/4.

<sup>2</sup> انظر: الزمخشري: الكشاف، 377/1. الرازي: مفاتيح الغيب، 69/8.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 452/8. والرازي: مفاتيح الغيب، 100/10.

<sup>4</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 85/5.

أُمِّيُونَ لَا يَعْمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ  
بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ تَرَاوِي بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ  
وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ  
عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: 78-80﴾. "فالأية  
نزلت في اليهود والنصارى جميعاً، وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله ما  
ليس منه"<sup>1</sup>، ومن أبلغ هذا الكذب الافتراء على ذات الله تعالى، بجعل الألوهية قائمة في التثليث،  
قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ  
وَاحِدٌ﴾ (المائدة: 73).

وقد أدى سوء الخلق السابق ذكره إلى توعدهم الله بالعذاب الشديد لهم في الآخرة، جزاء على افتراءهم عليه.  
فقال: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ  
مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا  
يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا  
يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (يونس: 68-70).

يتضح مما سبق أن النصارى قد بالغوا في الافتراء على الله، فنجد أنهم قد جعلوا إلههم الواحد في ثلاثة  
آلهة، جاعلين من عيسى عليه السلام إلهاً ثانياً، ومن مريم الصديقة أو الروح القدس إلهاً ثالثاً، فإذا كان هذا  
خلقهم مع الله فكيف ستكون أخلاقهم مع غيره؟

<sup>1</sup> البغوي: معالم التنزيل، 59/2.

## المطلب الثاني: الصد عن سبيل الله

تتبع الباحث أسباب النزول للآيات التي تتحدث عن الصد عن سبيل الله، ولاحظ أن ميل الحديث في هذا الخلق إلى اليهود أكثر منه إلى النصارى بناءً على أسباب نزولها، ولا يمنع صرف ذلك إلى النصارى لاستخدام الآيات صيغة "أهل الكتاب" المشيرة إلى كليهما، ويظهر ذلك في الحديث عن علماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: 34). ويمكن أن يشمل ذلك أيضاً عموم اليهود والنصارى<sup>1</sup>، وذلك لأن الحجة قائمة عليهم بعلمهم أو بغير علمهم، بترك الاستدلال والعدول إلى التقليد بمنزلة من علم ثم أنكر.

ومن أساليب صد النصارى عن سبيل الله: الجحد بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القرآن<sup>2</sup> لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: 98)، وذلك بإلقاء الشبه والشكوك في قلوب الضعفة من المسلمين، وكانوا ينكرون كون صفته صلى الله عليه وسلم في كتابهم. يقول سيد قطب: "وأول ما يتركه هذا التنديد من أثر هو مجابته أهل الكتاب بحقيقة موقفهم، ووصفهم بصفتهم، التي يدارونها بمظهر الإيمان والتدين، بينما هم في حقيقتهم كفار، فهم يكفرون بآيات الله القرآنية، ومن يكفر بشيء من كتاب الله فقد كفر بالكتاب كله، ولو أنهم آمنوا بالنصيب الذي معهم لآمنوا بكل رسول جاء من عند الله بعد رسولهم، فحقيقة الدين واحدة، من عرفها عرف أن كل ما يجيء به الرسل من بعد حق، وأوجب على نفسه الإسلام لله على أيديهم، وهي حقيقة من شأنها أن تهزم وأن تخوفهم عاقبة ما هم فيه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر: السمرقندي: بحر العلوم، 233/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 34/16+307/8.

<sup>2</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 176/1. والطبري: جامع البيان، 52/6. والرازي: مفاتيح الغيب، 307/8.

<sup>3</sup> سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ت 1385هـ: في ظلال القرآن، (بيروت، دار الشروق، ط7، 1991م)، 436/1.

وقد وضع القرآن جزءاً من يصد عن سبيل الله بالوعيد والتهديد، قال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: 140)، فهو "الكلام الجامع لكل وعيد"<sup>1</sup>، وهنا يظهر جمال السياق القرآني في بيان ما أظهروه من جدد الآيات بتعقيب الحق سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: 98) وأما ما أضمره فقد عقب الحق سبحانه: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: 140)، والمذلة في الدنيا لقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ (آل عمران: 112)، والمراد بها: الجزية، لأن ضرب الجزية عليهم يوجب الذلة والصغار، واستحقاق المسكنة في الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ (آل عمران: 112)، أو أنهم يظهرون من أنفسهم الفقر؛ لكي تعطف عليهم، أو جعلهم أرزاقاً للمسلمين فيصيرون مساكين<sup>2</sup>.

يلاحظ مما سبق أن الله قد وصف النصارى بالصد على سبيل الله على الرغم من نزول بعض الآيات السابقة في اليهود بشكل خاص، ومما يؤكد ذلك في حق النصارى ما قاله رئيس المبشرين في العصر الحاضر لحاضري مؤتمره من مبشري النصارى أن غاية التبشير ومهمته: "ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 78/4.

<sup>2</sup> انظر: ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن النيسابوري، ت 319هـ: كتاب تفسير القرآن، تحقيق: سعد بن محمد السعد، (المدينة النبوية، دار المآثر، ط1، 2002م)، 337/1. والسمرقندي: بحر العلوم، 239/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 330/8.

<sup>3</sup> النل: جذور البلاء، ص: 275-276.

## المطلب الثالث: نقض العهود

تتبع الباحث الآيات القرآنية التي تحدثت عن نقض العهود عند أهل الكتاب، ويظهر عبر تسلسل تاريخي نقض أوائل بني إسرائيل العهود، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَوَعَّضْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا...﴾ (١٣) ﴿فِيمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ (المائدة: 12-13)، والمراد بالعهد: "هو العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل غير مرة من إقامة الدين وتأييد الرسل، وألا يسفك بعضهم دماء بعض وأن يؤمنوا بالدين كله"<sup>1</sup>.

ويظهر نقض العهد عند النصارى في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوْا أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: 14)، وذلك أن الله قد أخذ عليهم الميثاق في الإنجيل بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويتبعوه ويصدقوه<sup>2</sup>، وقد ذكر بعض المفسرين آيات نقض العهد على عمومها لتشمل اليهود والنصارى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (آل عمران: 187)، فالذين ينقضون عهدَ الله: هم التاركون ما عهد الله إليهم من الإقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وتبيين نبوته للناس، والكاتمون بيان ذلك بعد علمهم به، وبما قد أخذَ الله عليهم في ذلك<sup>3</sup>.

وأما جزء من ينقض العهد فهو: الحرمان من وصف التقوى، فقد وصف الله من يوفي بالعهد بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا... وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: 177)، وكذلك حرمانهم من خير الآخرة ونعيمها، ومن كلام الله الطيب، ومن نظر الله لهم بعطف ورحمة<sup>4</sup>، ومن ثناء الله عليهم لقوله تعالى:

<sup>1</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 370/1.

<sup>2</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 288/1.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 412/1.

<sup>4</sup> انظر: الطبري: المصدر السابق، 528-527/6.

﴿أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ﴾ (آل

عمران: 77).

كما يظهر للباحث عبر استقراء الآيات القرآنية جزاء من ينقض العهد من النصارى بدم الله لعملهم هذا

بقوله: ﴿فَيْسَسْ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: 187)، وجعله سببا لقسوة القلب لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

قَلْبِيَةً﴾ (المائدة: 13)، أي نائية عن قبول الحق منصرفة عن الانقياد للدلائل<sup>1</sup>، وزرع البغض والعداوة

بينهم في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: 14)، وهي

بين فرق النصارى أو بين اليهود والنصارى<sup>2</sup>، والوعد بسوء العاقبة في الآخرة لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ

الْعَذَابُ وَهُمْ فِي الدَّارِ﴾ (الرعد: 25)، فهم مطرودون من رحمة الله، مرددون إلى جهنم<sup>3</sup> وبئس الدار،

والعذاب الأليم لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 77).

يتضح مما سبق أن النصارى كانوا من جملة من وصفهم القرآن بنقض العهود، ولا يتعجب ذلك منهم عند

النظر في كتابهم المقدس، فإنهم قد وصفوا الله بأنه ينقض عهده **فَأَخَذْتُ عَصَايَ نِعْمَةً وَقَصَفْتُهَا لِأَنْقُضَ**

**عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ كُلِّ الْأَسْبَاطِ \* فَتَقِضْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَهَكَذَا عَلِمَ أَذَلُّ الْعَمِّ الْمُنْتَضِرُونَ لِي أَنَّهَا كَلِمَةُ**

**الرَّبِّ** [سفر زكريا: 10/11-11]، فهل يتوقع بعد ذلك أن يلتزموا بالعهود.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 325/11.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 326/11.

<sup>3</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 175/2. والسمرقندي: بحر العلوم، 225/2.

## المبحث الثاني: الأخلاق المذمومة باعتبار السلوك مع الناس

وردت في القرآن الكريم آيات جلية وواضحة تتحدث عن الأخلاق المذمومة للنصارى باعتبار السلوك مع الناس، وهذه الأخلاق المذمومة تتعلق بالكيد والحسد، ومردها إلى التكبر والتعالي على الآخرين، والنظر إلى أهل الديانات المختلفة نظرة حقد وكيد وحسد، وقد نهى القرآن الكريم الأمم كافة وأمة الإسلام خاصة عن تلك الأخلاق المذمومة التي انفقت الديانات والشرائع وحتى القوانين الوضعية على ذمها والنهي عنها؛ لأنها تفرق بين الناس وتجعلهم أمما وشعوبا متناحرة، كما أن هذه الأخلاق المذمومة تتعارض مع حكمة الله والفضيلة الإنسانية التي جبلت على النقاء والصفاء.

### المطلب الأول: الاختلاف

وضحت الآيات التي نزلت في هذا السياق طبيعة هذا الخلق عند النصارى كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ (البقرة: 253)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (آل عمران: 19)، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: 176)، وذلك من خلال الإشارة إلى كلمات مثل: كلمة (الكتاب)، وكلمة (البيئات)، اللتان تظهران الاختلاف الذي وقع بين اليهود والنصارى، أو بين فرق النصارى كالنسطورية

والماريعقوبية والملكانية<sup>1</sup>، وقد يكون الاختلاف لعموم جنس الكتاب، والإنجيل جزء من هذا الكتاب، فينسب

الاختلاف إلى كل من آمن ببعض كتب الله، كاليهود والنصارى فقد قبلوا التوراة والإنجيل وردوا القرآن<sup>2</sup>.

واختلاف فرق النصارى في أساسيات العقيدة -قضية ليست خافية- فقد اختلفوا في عيسى عليه السلام

فالنسطورية قالوا: عيسى ابن الله، والماريعقوبية قالوا: عيسى هو الله، والملكانيون قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَالِثُ

ثَلَاثَةٌ﴾ (المائدة: 73)، وكذلك اختلاف النصارى في الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله، فقد قبل النصارى

التوراة والإنجيل وردوا القرآن<sup>3</sup>.

وترجع أسباب الاختلاف إلى مجيء العلم، لقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ (آل عمران: 19)، وإلى

مجيء البيئات والدلائل الواضحات، لقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (آل عمران: 105)، وعند ذلك

ينقسم الناس إلى قسمين: أصحاب الهوى والمتبعون للحق؛ لينتج عن ذلك الخلاف والافتراق، وكذلك إلى

الحسد والبغى، لقوله: ﴿بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ (آل عمران: 19)، فقد كان حسدهم النبي صلى الله عليه وسلم

وأصحابه؛ فقد "طمعوا أن يبعث الرسول من بني إسرائيل على ما بعث سائر الرسل بعد إسرائيل منهم، فلما

بعث من غير إسرائيل حسدوه، وخالفوا دينه الإسلام"<sup>4</sup>، وقد سمي عيسى عليه السلام أصحابه مسلمين،

فحسدهم اليهود لمشاركتهم في الاسم فغيروا ذلك الاسم، وسُمُّوا يهوداً، وأما النصارى فغيرهم عن ذلك الاسم

بولس، وسماهم نصارى<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الثعلبي: الكشف والبيان، 255/2. والطوسي: التبيان في تفسير القرآن، 92/2.

<sup>2</sup> انظر: الماوردي: النكت والعيون، 380/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 211/5.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 172/7+211/5.

<sup>4</sup> الماتريدي: تفسير الماتريدي، 333/2.

<sup>5</sup> انظر: السمرقندي: بحر العلوم، 201/1.

وقد بينت آيات القرآن الكريم أن الاختلاف يؤدي إلى:

1- الشقاق والمنازعة، لقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: 176)،

ويقصد بذلك ما أشار إليه الرازي<sup>1</sup> أن بين اليهود والنصارى شقاق ومنازعة شديدة فلا ينبغي أن تلتفت يا محمد صلى الله عليه وسلم إلى اتفاقهم على العداوة فإنه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة، فكأنه تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم: هؤلاء وإن اختلفوا فيما بينهم فإنهم كالمثقفين على عداوتك وغاية المشاققة لك فهذا خصم الله بذلك الوعيد، فقد اتفقوا على أصل التحريف واختلفوا في كيفية التحريف فإن كل واحد منهم يكذب صاحبه ويشاقه وينازعه، وإذا كان كذلك فقد اعترفوا بكذبهم بقولهم فلا يكون قدحهم فيك قادحا فيك البتة.

2- الاقتتال، لقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ

الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ (البقرة: 253)، ومن صور ذلك: "الحروب العظيمة التي نشأت في القرن

السادس عشر من التاريخ المسيحي بين أشياع الكاثوليك وبين أشياع مذهب لوثير الراهب الجرمانى الذي دعا الناس إلى إصلاح المسيحية واعتبار أتباع الكنيسة الكاثوليكية كفاراً لادعائهم ألوهية المسيح، فعظمت بذلك حروب بين فرنسا وإسبانيا وجرمانيا وإنكلترا وغيرها من دول أوروبا"<sup>2</sup>.

3- الافتراق، لقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاٰخْتَلَفُوا﴾ (آل عمران: 105)، فقد يحمل الافتراق معنى

الاختلاف فيكون للتأكيد، وقد يختلف معنى الافتراق عن الاختلاف فيكون التفرق بالعداوة والاختلاف في الدين، وقد يكون التفرق بالتأويل الفاسد للنصوص والاختلاف في نصره المذهب<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 211/5.

<sup>2</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 10/3.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 317-316/8.

ويظهر من الآيات القرآنية التي تحدثت عن خلق الاختلاف عند النصارى أنها بينت كذلك مصير من اتصف بهذا الخلق الذميمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 105)، ففي الآية بيان عاقبة النصارى إذا اختلفوا وتفرقوا وفرطوا في تجنب أسباب ذلك، وتنبيه وتحذير للمؤمنين من الوقوع في الفرقة والاختلاف<sup>1</sup>.

فيتضح مما سبق أن الله قد وصف النصارى بالفرقة والاختلاف، وتشهد لذلك نتائج مجامعهم الكنسية، ففي مجمع نيقية الأول عام 325م، قال أريوس ببشرية المسيح، وزعم الكسندروس الأول ألوهيته، فتغلب رأي الكسندروس الأول بالافتراء ورفض رأي أريوس واثان من القساوسة، مما أدى لحرق كتب أريوس وسمي مذهبه ببدعة أريوس ووسم أتباعه إلى اليوم بلقب أعداء المسيحية<sup>2</sup>، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله "تفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة"<sup>3</sup>.

#### المطلب الثاني: الكيد

يتضح هذا الخلق الذميمة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَأَمِنُوا وَجَّهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: 72)، والموصوف بهذا الخلق: طائفة من أهل الكتاب<sup>4</sup>، فقد استخدموا حيلة في تشكيك ضعفة المسلمين بصحة الإسلام، بأن يظهروا تصديق ما ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم من الشرائع في بعض الأوقات، ثم يظهروا بعد ذلك تكذيبه، فإن الناس متى شاهدوا هذا التكذيب، قالوا: هذا التكذيب ليس لأجل الحسد والعناد، وإلا لما آمنوا به في أول الأمر، وإذا لم يكن هذا التكذيب لأجل الحسد والعناد وجب أن يكون ذلك لأجل أنهم أهل الكتاب، وقد تفكروا في أمره واستقصوا في البحث عن دلائل نبوته فلاح لهم بعد التأمل التام، والبحث الوافي أنه كذاب، فيصير

<sup>1</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 317/8. وابن عاشور: التحرير والتنوير، 43/4.

<sup>2</sup> انظر: العفاني: وا محمداه إن شانك هو الأبت، 529-528/3.

<sup>3</sup> أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم الحديث: 4596، 5/7. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

<sup>4</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 503/6.

هذا الطريق شبهة لضعفة المسلمين في صحة نبوته<sup>1</sup>، وقد ذكر بعض المفسرين أن الكيد لرؤسائهم، ويكون الكيد بنفاقهم<sup>2</sup>، فقد قال بعضهم لبعض: "نافقوا وأظهروا الوفاق للمؤمنين، ولكن بشرط أن تثبتوا على دينكم إذا خلوتم بإخوانكم من أهل الكتاب، فإن أمر هؤلاء المؤمنين في اضطراب فزجوا الأيام معهم بالنفاق فربما ضعف أمرهم واضمحل دينهم ويرجعوا إلى دينكم"<sup>3</sup>، وادعائهم الإنصاف، فقد قال بعضهم لبعض إن كذبتموه في جميع ما جاء به فإن عوامكم يعلمون كذبكم؛ لأن كثيراً مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض حتى يحمل الناس تكذيبكم له على الإنصاف لا على العناد فيقبلوا قولكم<sup>4</sup>.

وينتج عن الكيد كما يظهر في الآيات: العصبية، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ﴿٧٣﴾﴾ (آل عمران: 72-73)، فهم لا يصدقون إلا نبياً يقرر شرائع الإنجيل، ومن جاء بتغيير شيء من أحكامها فلا يصدق والإيمان ببعض الأنبياء والكفر بآخرين، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾ (النساء: 150)، فقد كذب النصارى محمداً صلى الله عليه وسلم وصدقوا بعباسي وسائر الأنبياء قبله بزعمهم<sup>5</sup>، وقد ينتج عن الكيد كذلك:

1- الحسد، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 257/8.

<sup>2</sup> انظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، 496/2. والرازي: المصدر السابق، 258/8.

<sup>3</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 258/8.

<sup>4</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 258/8.

<sup>5</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 252/9. والرازي: المصدر السابق، 259/8.

اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ﴿٧٦﴾ (آل عمران: 72-73)، فقد قال أهل الكتاب: لا تظهروا ما عندكم

من العلم والحكمة حتى لا يكتسبها العرب، حاسدين لهم لوقوع النبوة فيهم<sup>1</sup>.

2- كتمان الحق، لقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ

الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٧١﴾ (آل عمران: 71)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا

يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ (آل عمران: 187)، فقد كتم النصارى الآيات الدالة على صفته ونعته صلى الله عليه

وسلم.

3- تحريف الحق، لقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

تَعْمُونَ ﴿٧١﴾ (آل عمران: 71)، فقد حرف علماء أهل الكتاب كتب الله المنزلة بما كتبه بأيديهم،

وذلك لأن عوامهم كانوا يعطونهم من ثمارهم وطعامهم عند الحصاد، ولو تابعوا محمدا صلى الله

عليه وسلم لذهب عنهم ذلك المأك<sup>2</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا

يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ (آل عمران: 187).

وقد أوضح الله أثر هذا الكيد بقوله: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هَدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّكُمْ

عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ (آل عمران: 73)، فقد أطلع

المؤمنين على تواطئهم على هذه الحيلة فلم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين، ولولا هذا الإعلان لأثرت

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 512/6. والثعلبي: الكشف والبيان، 92/3.

<sup>2</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 321/1. والطبري: جامع البيان، 505/6.

هذه الحيلة في قلب بعض من كان في إيمانه ضعف، وبفضح الله لهم فيها رادع لهم في الإقدام على أمثالها من الحيل والتلبيس<sup>1</sup>.

فيتضح مما سبق أن الله قد وصف النصارى بالكيد والمكر على عمومهم أو خص بذلك علماءهم الذين بذلوا جهوداً ضخمة في مجال الاستشراق منذ بداية القرن الثامن عشر بعد فشل الغزو العسكري بالحملات الصليبية، فاستعملوا الاستشراق كوسيلة ماهرة لغزو المسلمين فكرياً، وعقدت له المؤتمرات، وفتحت له مراكز وبعثات وجمعيات ومعاهد<sup>2</sup>، ولكن أتى لهم أن ينجحوا في ذلك وقد قال الله: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 76).

### المطلب الثالث: الخيانة

إن قول الحق سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 75)، يظهر أن المقصود بالخيانة هي: الخيانة في الدين، فقد ذهب الماتريدي إلى القول بأن المراد من الآية "ليس القنطار نفسه أو الدينار، ولكن وصفهم بأن فيهم أمانة وخيانة... فمن أسلم منهم وصف بالأمانة ومن لم يسلم وصف بالخيانة"<sup>3</sup>، فشملت الخيانة في الدين بعض النصارى، والجمهور على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وقد أخبر الله تعالى بزم الخونة منهم، فظاهره أن في اليهود والنصارى من يؤتمن فيفي ومن يؤتمن فيخون<sup>4</sup>، واستعمال القرآن صيغة "أهل الكتاب"

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 8/258.

<sup>2</sup> انظر السقاف، غلوي بن عبد القادر وآخرون: موسوعة الملل والأديان، (موقع الدرر السننية على الإنترنت dorar.net، 2012م)، 49/2.

<sup>3</sup> الماتريدي: تفسير الماتريدي، 2/407-409.

<sup>4</sup> انظر: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، 3/220.

بدل من صيغتي "اليهود" و"النصارى" في الآية دل على دخول كلا الفريقين في الأمانة والخيانة، ولكن خيانة النصارى أقل من خيانة اليهود.

وبعد أن ذكر الله بعض قبائح أحوالهم فيما يتعلق بالأديان في الآيات التي تسبق هذه الآية، مثل قولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (آل عمران: 73)، تناول في هذه الآية بعض قبائح أحوالهم فيما يتعلق بمعاملة الناس، كإصرارهم على الخيانة والظلم وأخذ أموال الناس في القليل والكثير<sup>1</sup>.

وسيعرض الباحث الآيات التي تحدثت عن الخيانة، ودلالة كل واحدة منها: فقول الحق: ﴿مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ (آل عمران: 75)، ويحمل لفظ "قائماً" على الحقيقة: فيعني ما دمت قائماً على رأسه بالاجتماع معه والملازمة له، فإن انظرت وأخرت أنكرك، وقد يحمل على المجاز: فيعني إما الإلحاح والخصومة والنقاضي والمطالبة، فأصله أن المطالب للشيء يقوم فيه، والتارك له يقعد عنه بدليل قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ (آل عمران: 113)، أي عاملة بأمر الله غير تاركة له، وإما يعني الدوام والثبات، كقوله تعالى: ﴿دِينًا فِيمَا﴾ (الأنعام: 161)، أي دائماً ثابتاً<sup>2</sup> لا ينسخ. فمعنى قوله ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ﴾ (آل عمران: 75)، أي دائماً ثابتاً في مطالبتك إياه بذلك المال، وقول الحق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ﴾ (آل عمران: 75)، فنتج هذا الاعتقاد الباطل عن تعصبهم وغلوهم، فقد قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ (المائدة: 18) ليبرروا سبب إقدامهم على الخيانة<sup>3</sup> التي يجيزونها في حق من خالفهم في الدين.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 262/8.

<sup>2</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 521/6. ومكي: الهداية إلى بلوغ النهاية، 1051/2.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 264/8.

وجزاء الخائن من النصارى أنه يحرم مما قد يحصل عليه الأمين منهم، كالكسب محبة الله تعالى<sup>1</sup>، وقبول شهادته على أهل الكتاب أو الكفار، قال الجصاص: "من الناس من يحتجّ بذلك في قبول شهادة بعضهم على بعض؛ لأن الشهادة ضربٌ من الأمانة"<sup>2</sup>، وما أخبر به الكتاب المقدس من المكافأة بالبركات الكثيرة، التي تشمل: النسل والذرية [الرجل الأمين كثير البركات] (سفر الأمثال 28: 20)، والوعد بطول العمر [أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض] (سفر الخروج 20: 12).

وتحدث الكتاب المقدس عن الخيانة من خلال يهوذا الإسخريوطي الذي كان يسرق من صندوق أموال التلاميذ الذي ائتمنه عليه المسيح عليه السلام [فَقَالَ وَاجِدْ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَهُوَ يَهُودًا سِمَعَانُ الْإِسْخَرِيُوطِيُّ، الْمُرْمَعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ \* لِمَاذَا لَمْ يُبِعْ هَذَا الطَّيِّبُ بِنِثْلَانِ مِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ؟ \* قَالَ هَذَا لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ] (يوحنا: 12/4-6)، ثم لما تأمر اليهود على قتل المسيح عليه السلام قام بخيانة المسيح عليه السلام وإرشادهم إلى مكانه مقابل ثلاثين قطعة فضية [حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاجِدٌ مِنَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُدْعَى يَهُودًا الْإِسْخَرِيُوطِيُّ، إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ \* وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أَسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟» فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ] (متى: 14/26-15)، فألقى الله عليه شبه المسيح عليه السلام وقتل بدلاً منه<sup>3</sup> لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: 157).

فيظهر عبر السياق السابق أن الله وصف النصارى بالخيانة، وهذه صفة لبعضهم، فكتابهم المقدس يدعو إلى الأمانة ويحث عليها، ويحذر من الخيانة ويذم أصحابها، فهم يعرفون يهوذا الإسخريوطي بيهوذا الخائن.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 265/8.

<sup>2</sup> الجصاص: أحكام القرآن، 298/2.

<sup>3</sup> انظر: النجار، عبد الوهاب: قصص الأنبياء، (بيروت، دار الجبل)، ص: 504.

## المطلب الرابع: ترك النهي عن المنكر

أشار القرآن إلى فريق آخر من النصارى كان لا ينهى عن المنكر، وقد تتبع الباحث الآيات في هذا المطلب فوجدها في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: 63)، وقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: 79)، فكان الموصوف بهذا الخلق علماء النصارى، "فالرهبانيون هم علماء أهل الإنجيل"<sup>1</sup>.

وقد فصلت الآيات القرآنية المعاصي التي تركوا النهي عنها فتظهر في: ﴿قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ (المائدة: 63)، وهو "لفظ يتناول جميع المعاصي والمنهيات"<sup>2</sup>، وفي: ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ (المائدة: 63)، والسحت: الرشوة الحرام لتغيير الحكم<sup>3</sup>.

وأما جزاء من ترك النهي عن المنكر فقد فصلته الآيات القرآنية داخل السياق، ففي قوله تعالى "لَوْلَا" تحضيض أريد منه التوبيخ، وقوله "لَبِئْسَ"، ذم لصنيع الرهبانيين في سكوتهم عن تغيير المنكر، الذي جعل تارك النهي عنه بمنزلة مرتكبه، لأنه تعالى ذم الفريقين في هذه الآية على لفظ واحد، لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: 63)، وقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: 79)، فيصنعون ويعملون واحد، وفي الآيتين السابقتين دلالة على أن تارك النهي عن المنكر يلحقه من الإثم ما يلحق الفاعل به<sup>4</sup>، ودم تارك النهي عنه أقوى من مرتكبه؛ لأنه تعالى قال في

<sup>1</sup> الجصاص: أحكام القرآن، 4/104.

<sup>2</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 12/392.

<sup>3</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 1/310.

<sup>4</sup> انظر: ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، 4/1167. والماتريدي: تفسير الماتريدي، 3/550. والرازي: مفاتيح الغيب، 12/393.

وابن عاشور: التحرير والتنوير، 6/248.

المقدمين على الإثم والعدوان وأكل السحت ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 62)، وقال في العلماء التاركين للنهي عن المنكر ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: 63)، والصنع أقوى من العمل؛ لأن العمل إنما يسمى صناعة إذا صار مستقرا راسخا متمكنا، فجعل جرم العاملين ذنبا غير راسخ، وذنبا التاركين للنهي عن المنكر ذنبا راسخا<sup>1</sup>.

يلاحظ مما سبق أن الله قد وصف علماء النصارى بترك النهي عن المنكر، حتى أصبح الدين لديهم اليوم متعلق بما يحدث داخل الكنيسة منفصلًا عن المجتمع المادي الذي يعيشون فيه.

### المطلب الخامس: العداة والبغضاء

لم يكتف النصارى بإظهار العداة للمسلمين وإنما ظهر عداؤهم لبعضهم بعضا، ففي قول الحق: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: 14)، فحملت كلمة نصارى إلى فئة مخصوصة منهم، كنصارى نجران، وقد تحمل على عموم من ادعى النصرانية، فقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ﴾ (المائدة: 14)، ولم يقل: ومن النصارى؛ وذلك لأنهم إنما سموا أنفسهم بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله تعالى، وهم الذين قالوا لعيسى ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 52)، فكان هذا الاسم في الحقيقة اسم مدح، فبين الله تعالى أنهم يدعون هذه الصفة ولكنهم ليسوا موصوفين بها عند الله تعالى، وأما المسلمون فقال فيهم: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الحج: 78)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 393/12. والزمخشري: الكشاف، 654/1.

<sup>2</sup> انظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ت 465هـ: لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3)، 412/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 326/11.

وقد تتبع الباحث دلالة كلمة (أغرينا) في الآية فلاحظ أنها تحمل معان كثيرة، منها: أَلصقنا، وأَلقينا، وأما (العداوة) فيقصد بها: كراهية تصدر عن صاحبها بمعاملة بجفاء، أو قطيعة، أو إضرار؛ فالعداوة مشتقة من العدو وهو التجاوز والتباعد<sup>1</sup>، وأما (البغضاء) فهي: شدة الكراهية غير المصحوبة بَعْدُو، فهي مضمره في النفس، واقتران العداوة والبغضاء في هذا النظم البديع يدل على أن إغراء العداوة وقع بين بعض منهم وإغراء البغضاء وقع بين بعضٍ آخر<sup>2</sup>.

ويرجع سبب العداوة والبغضاء إلى الأهواء المختلفة، والخصومات بالجدال في الدين، وتركهم كتاب الله، ومعصيتهم رسله، وإضاعتهم فرائضه، وتعطيلهم حدوده، وإعراضهم عن الإيمان بمحمد ﷺ<sup>3</sup>، واختلافهم في المسيح، حتى صاروا فرقةً "يكفر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فكل فرقة تُحرم الأخرى ولا تدعها تلجُ معبدها"<sup>4</sup>، فكان الوصف بهذا الخلق ينطبق على اليهود والنصارى، فعادى النصارى اليهود لقبح ما فعلوه من التكذيب بالمسيح، والشتم لأمه، والقذف لها والفرية عليها، وإضافتها إليه تعالى، ووصفها بما لا يليق، وعادى اليهود النصارى لاعتقادهم بالتثليث، وأن المسيح ابن الله وغير ذلك من اعتقاداتهم الفاسدة، وقد ينطبق على فرق النصارى، فقد عادى بعضهم بعضاً بعدما اختلفوا في عيسى عليه السلام، فالنسطورية قالوا: عيسى ابن الله، والماريعقوبية قالوا: عيسى هو الله، والملكانيون قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (المائدة: 73)<sup>5</sup>، ورجح الطبري هذا القول ودافع عنه بقوله: "أنَّ الهاء والميم" في "بينهم" عائدتان على النصارى دون اليهود، لأن ذكر "الإغراء" في خبر الله عن النصارى، بعد تقضي خبره عن اليهود، وبعد ابتدائه خبره عن النصارى، فلا يُنْ يكون ذلك معنياً به النصارى خاصة، أولى من أن يكون معنياً به الحزبان جميعاً، لما ذكرنا"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> انظر: أبو عبيدة: مجاز القرآن، 1/159. والزمخشري: الكشاف، 1/617. وابن عاشور: التحرير والتنوير، 6/148.

<sup>2</sup> انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 6/148.

<sup>3</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 1/288. والطبري: جامع البيان، 10/137.

<sup>4</sup> ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 3/64.

<sup>5</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 2/313. والطوسي: التبيان في تفسير القرآن، 3/470.

<sup>6</sup> الطبري: جامع البيان، 10/139.

يتضح مما سبق أن الله قد وصف فريقاً من النصارى بالعداء لبعضهم بعضاً، ففي عصرنا الحاضر عندما تألبوا في الحروب الصليبية على المسلمين، لم يلبثوا أن تخاذلوا وتحاربوا، ولا يزال الأمر بينهم كذلك إلى الآن<sup>1</sup>.

### المطلب السادس: أكل أموال الناس بالباطل

حفظ الله تعالى للناس أموالهم، وحرّم أخذها بغير وجه حق، ولكن هناك فريق من أهل الكتاب لم يتعظ بأحكامه، فأنزل فيهم قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ (التوبة: 34)، وذكر الرازي أن الآية تدل على علماء أهل الكتاب ورؤسائهم من الأحرار والرهبان، وقد ذكر ذلك في حق بعضهم لدلالة "كثيراً" في قوله تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾ (التوبة: 34)، ولا يقصد بكلمة الأكل ما يدخل الجوف، وإنما يقصد به الأخذ، فاستعمل القرآن هذا اللفظ لأن المقصود الأعظم من جمع الأموال هو الأكل، فسمي الشيء باسم أعظم مقاصده، وللمبالغة في أنه أخذ بالباطل؛ لأن الأكل غاية الاستيلاء على الشيء، ولا يتحقق هذا المعنى لو قيل "ياخذون" في الآية<sup>2</sup>.

وأما مظاهر أكلهم أموال الناس فكانت من خلال أخذ الرشوة لتخفيف الأحكام والمسامحة في الشرائع<sup>3</sup>، وأخذ أموال عوامهم؛ ليرضوا عنهم، فيرضى الله على هؤلاء العوام، وليطيبوا قلوبهم بما أولوه من وجوه فاسدة عن مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وبما حرفوا بأيديهم من كتاب الله، وليحققوا الغنى والعظمة والجاه، فقد كذبوا على عوامهم بزعمهم أن قوة الدين وعظمتها تكون بعظمة رؤسائه، فأكل الأموال بالباطل يعني أخذها ظلماً، على أي وجه محرّم<sup>4</sup> سواء من عوامهم أو من عموم الناس.

<sup>1</sup> انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 149/6.

<sup>2</sup> انظر: الجصاص: أحكام القرآن، 300/4. والرازي: مفاتيح الغيب، 34/16. والآلوسي: روح المعاني، 86/10.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 216/14. والجصاص: أحكام القرآن، 300/4. والرازي: مفاتيح الغيب، 34/16.

<sup>4</sup> انظر: الماوردي: النكت والعيون، 257/2. والرازي: مفاتيح الغيب، 34/16.

واختتمت الآية ببيان مصير من يتصف بهذا الخلق، فوضحت أن أكل أموال الناس ظلماً وجوراً يؤدي إلى عذاب موجع أليم في الآخرة: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: 34)، وعبر سبحانه بالبشارة على سبيل التهكم<sup>1</sup>.

ولعل واقعا المعاصر خير دليل "لمعاملات النصارى الربوية في البنوك العالمية، ومن أشهر ذلك البنك الدولي الذي يشرف عليه اليهود والنصارى؛ لإغراق البلاد الإسلامية بالديون، والذي يعد من الأسباب الرئيسية في انهيار الاقتصاد العالمي في كثير من دول العالم عام (2007، 2008)، وما حصل في الولايات المتحدة من الأزمة الاقتصادية العالمية إلا شاهد على ذلك، وإصرار منهم على محاربة الفضيلة، وإمعان في مخالفة أوامر الخالق سبحانه، كما فعل من قبلهم الذين زعموا أن الله فقير وهم أغنياء! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"<sup>2</sup>.

يتضح مما سبق أن الله قد وصف علماء النصارى ورؤساءهم بأكل أموال الناس ظلماً، وجوراً متخذين من الدين وسيلة لتحقيق ذلك، غافلين عن عظيم العقاب المستحق لهم في الآخرة.

### المطلب السابع: البخل

يعد البخل خلقاً ذمياً حذر منه القرآن الكريم، وذر أصحابه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ يَحْسَبُونَ أَن حَبْلَتَانِ لَئِن دُعُوا إِلَىٰ آلِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ يَسْتَمِعُونَ فَآذًا وَمَا يَحْتَفِلُ فِيهِمْ شَيْءٌ﴾ (البقرة: 175).  
سَيِّئًا ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ ﴿٥٤﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ (النساء: 51-53)، وبين القرآن أن من اتصف بهذا الخلق الذميمة هم: عموم

<sup>1</sup> انظر: الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي، ت 977هـ: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (القاهرة، مطبعة بولاق، 1868م)، 609/1.

<sup>2</sup> أبو راس، هود قباص. وطرشاني، ياسر محمد: الغلو وأثره على السلام والتعايش العالميين، (ماليزيا، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد 31، يناير 2020م) ص: 181-182.

النصارى، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴿٥١﴾﴾ (النساء: 51)، فظاهر الآية يعمهم<sup>1</sup>.

كما يظهر البخل عند النصارى في قول الحق ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ (التوبة: 34)، ففيها إشارة كذلك إلى أن الموصوف بهذا الخلق علماء النصارى ورؤساؤهم من الرهبان، لقوله تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ ﴿٣٤﴾﴾ (التوبة: 34)، وقد وصفهم الله بالبخل الشديد والامتناع عن إخراج الواجبات عن أموالهم، وقد تشمل الآية كل من يكنز المال من أهل الكتاب<sup>2</sup>، ومن مظاهر البخل:

1- الامتناع عن التصدق بالحقير ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ (النساء: 53).

البخيل: هو من يمنع نعمة نفسه عن الغير، فلا يدفع لأحد شيئا مما آتاه الله منها، وقد وصف الله حال أهل الكتاب لو حصلوا على عظيم الملك أو المال، فإنهم سيمتنعون عن التصدق بالحقير النقير منه<sup>3</sup>، والنقير: هو النقرة التي على ظهر النواة، أو في وسطها<sup>4</sup>.

2- كنز الذهب والفضة ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ (التوبة: 34)، فقد ذكر الرازي<sup>5</sup> بعض أسباب نهي الله عن كنز الذهب والفضة، ومنها: إن تكثير المال سبب لتكثير الحرص في الطلب، فالحرص متعب للروح والنفس والقلب وضرره شديد، وكسب المال شاق شديد، وحفظه بعد حصوله أشد وأشق وأصعب، فيبقى الإنسان طول

<sup>1</sup> انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، 65/2.

<sup>2</sup> انظر: ابن الجوزي: زاد المسير، 254/2. والرازي: مفاتيح الغيب، 35/16.

<sup>3</sup> انظر: السمعاني: تفسير القرآن، 436/1. والزمخشري: الكشاف، 521/1.

<sup>4</sup> انظر: الفراهيدي: كتاب العين، 144/5.

<sup>5</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 37/16.

عمره تارة في طلب التحصيل، وأخرى في تعب الحفظ، ثم إنه لا ينتفع بها إلا بالقليل وبالأخر يتركها مع الحسرات والزفرات، وذلك هو الخسران المبين، ولذلك أوجب الله الزكاة سعياً في تنقيص المال، ولو كان تكثره فضيلة لما سعى الشرع في تنقيصه.

وقد تضمنت الآيات القرآنية التي تحدثت عن البخل توضيح مصير من اتصف به بأن يعذبه الله عذاباً أليماً، لقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: 34)، وبجعل كنوز أصحابه وقوداً لنار يحرقون فيها، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: 35)، وتبكيك الله لهم بقوله: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: 35)، وتهكمه بقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ (التوبة: 34).

يتضح مما سبق أن الله قد وصف فريقاً من النصارى بالبخل، مع أن كتابهم المقدس حذر منه ونهى عنه، فمن ذلك: [عَيْنُ الْبَخِيلِ لَا تَشْبَعُ مِنْ حَظِّهِ] (سفر يشوع بن سيراخ: 9/14)، و[لَا أَحَدٌ أَقْبَحَ جُرْماً مِنَ الْبَخِيلِ] (سفر يشوع بن سيراخ: 9/10).

### المبحث الثالث: الأخلاق المذمومة باعتبار السلوك مع النفس

يتعلق هذا المبحث بخلقين مذمومين عند النصارى يتمثلان في تزكية النفس وخداعها، وذلك عبر إنكار النصارى لطبيعته البشرية واعتبار نفسه قد وصل إلى درجة البنوة لله تعالى، ثم تبرئة النفس من الذنوب والعيوب واعتبارها قد وصلت درجة من القداسة والتنزيه لم تصل إليها البشرية من قبلها ولا بعدها، وهذا السلوك المذموم يؤدي إلى زرع الكره والحقد والبغضاء وتأصله في النفس الإنسانية والطبيعة البشرية للنصارى، ويظهر من خلال استقراء الآيات القرآنية ذم الله لهم لهذا الصنيع والافتراء.

## المطلب الأول: تزكية النفس

نهى الله سبحانه وتعالى عن تزكية النفس؛ لأن التزكية متعلقة بالتقوى، والتقوى صفة في الباطن، ولا يعلم حقيقتها إلا الله، فلا جرم لا تصلح التزكية إلا من الله، فهذا قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: 49)<sup>1</sup>، وقد نعت الله النصارى بأنهم يزكون أنفسهم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: 49)، والذين يزكون أنفسهم كما ذكر المفسرون هم النصارى، وذكر ذلك الصنعاني<sup>2</sup> والطبري<sup>3</sup> وغيرهما. ويقصد بالتزكية في الآية: البراءة من الذنوب؛ لما ادعوه من استغفار وشفاعة أبنائهم لهم، وتقديمهم أطفالهم لإمامتهم، زعماً منهم أنه لا ذنوب لهم، وتزكية بعضهم لبعض لينالوا به شيئاً من الدنيا<sup>4</sup>.

والمتمأمل في مظاهر تزكية النفس في القرآن الكريم يلحظ أنها وردت بحقهم في قول الله تعالى على لسانهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ (المائدة: 18)، وكذلك: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ (البقرة: 111).

غير أن الحق سبحانه وتعالى بين جزاء من يزكي نفسه بقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: 49)، فالمعنى: أنهم يعاقبون على تلك التزكية حق الجزاء من غير ظلم، كما أن الذين زكاهم الله فإنه يثيبهم على طاعاتهم ولا ينقص من ثوابهم شيئاً، والفتيل ضربٌ مثلاً للشيء النافه الحقيق، أي لا يظلمون لا قليلاً ولا كثيراً<sup>5</sup>، كما بين الله تعالى كذب ما ادعوه من تزكية أنفسهم، فقال: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: 50).

<sup>1</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 100/10.

<sup>2</sup> انظر: الصنعاني: تفسير عبد الرزاق، 262/1.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 452/8.

<sup>4</sup> انظر: الطبري: المصدر السابق، 454-453/8.

<sup>5</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 233/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 100/10.

فيتضح مما سبق أن الله قد وصف النصارى بالتزكية الباطلة لأنفسهم، فقد جعلوا الجنة لهم فقط، وادعوا أبوة الله لهم -تعالى الله عن ذلك- فأسرفوا في المعاصي، وظنوا مغفرتها.

### المطلب الثاني: خداع النفس

وصف الله النصارى بخداع النفس، حتى اعتقدوا تخفيف عذاب الله لهم في الآخرة، بما زعموه من تمييزه لهم على غيرهم من خلقه، ويظهر ذلك في الآيات المبنوثة في القرآن الكريم التي ذكر المفسرون فالمقصود بها عموم النصارى، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ (المائدة: 18)، ولظاهر قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴿٢٣﴾﴾ (آل عمران: 23) الذي يتناولهم كلهم، فلا شك أن هذا مذكور في معرض الذم، وتكون فائدة "من" هنا البيانية؛ أي من جنس الكتب السماوية المنزلة<sup>1</sup>، كما يظهر من الآيات تضمين علماء النصارى، فقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (آل عمران: 23)، فالنصيب في الآية: أن عندهم من علم الكتاب، لأننا لو أجريناه على ظاهره يفهم أنهم قد أوتوا كل الكتاب والمراد بذلك العلماء منهم، وهم الذين يُدْعُونَ إِلَىٰ الْكِتَابِ، لأن من لا علم له بذلك لا يدعى إليه<sup>2</sup>.

ويتضح عبر استقراء الباحث للآيات القرآنية مظاهر خداعهم للنفس في قوله تعالى: ﴿وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (آل عمران: 24)، فقد خدعوا أنفسهم بقولين زعموهما، وهما: قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴿٨٠﴾﴾ (البقرة: 80)، وقولهم كذلك: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا إِلَيْهِ ﴿١٨﴾﴾ (المائدة: 18)، ويرجع سبب قولهم ذلك إلى ما أولوه في الكتاب المقدس لديهم بأن عيسى عليه السلام قال: ﴿إِنِّي أَصْعَدُ إِلَىٰ أَبِي وَأَبِيكُمْ﴾ (يوحنا: 17/20)؛ ولذلك قالوا: نحن أبناء الله، وكذلك قولهم في

<sup>1</sup> انظر: الزمخشري: الكشاف، 348/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 178/7.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 179/7.

المسيح عليه السلام: ابن الله، وهم يرجعون إليه، فجعلوا بذلك أنفسهم أبناء الله وأحباءه<sup>1</sup>، غير أن الله قال لرسوله: أخبرهم أنهم: ﴿بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (المائدة: 18).

وإن أعظم الذنوب هو الكذب على الله تعالى الذي بين تكذيبهم بما زعموه بقوله: ﴿أَمْرٌ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 81-80)، وبيان أن مرجع ذلك ما خدعوا به أنفسهم، فقال في حقهم: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: 24).

وقد وقف الباحث عند أمثلة من الواقع تبين خداع النفس، فقد قال موريس بورمانس في كتابه: "توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين" عن المباهلة المذكورة في سورة آل عمران: "إن الإسلام الذي نشأ في شبه جزيرة العرب متصدياً للشرك المكي، كان بوسعه أصلاً الاعتقاد بأنه النسب الداني أو القاصي لليهودية القائمة في يثرب، أو غيرها من المدن، أو الجار الذي تربطه أواصر الود والتكامل... مع تلك الكنائس الساسانية واليعقوبية أو الملكية في الإمبراطورية البيزنطية، ولكن سرعان ما اعتمد أسلوب التحريم والنبذ؛ فلم يعد للحوار الإسلامي المسيحي الذي بدأ مأساوياً عند مباهلة المدينة حين خضع مسيحيو نجران للدولة الإسلامية الفتية، وقبلوا عهد الذمة الذي فرضته، سوى سلسلة من المصادمات السياسية أو الثقافية أو الدينية"<sup>2</sup>.

فيشير الكاتب إلى أن الإسلام أحد الأديان السماوية فلا بد له من التكامل والتآلف مع الأديان السماوية الأخرى، وأن أسلوب الإسلام في نبذ وتحريم الأديان الأخرى كان السبب في صنع الفجوة معها.

<sup>1</sup> انظر: الماتريدي: تفسير الماتريدي، 487/3. والخصاص: أحكام القرآن، 41/4.

<sup>2</sup> بورمانس، موريس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، ترجمة: يوحنا منصور، (بيروت، المكتبة البولسية، ط1، 1986م)، ص: 25-26.

ويرد عليه بما يأتي:

1. إن الإسلام دين سماوي نسخ الشرائع الأخرى، ولم يتكامل ويتكافل معها على ما هي عليه من الحق أو الباطل، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: 48)، فقد أقر الإسلام ما فيها من حق وأبطل ما فيها من باطل.
2. هل يعتقد الكاتب أن تغيير الإسلام للأسلوب الذي تعامل به مع الأديان الأخرى سيجعل منه ديناً مرحباً به مقبولاً عند النصارى، فهو بذلك يخدع نفسه بما لا ينفعه توهمه.
3. إنما كان نقده للإسلام لما صنعه في نصارى نجران عندما قبلوا الذميمة حين دعاهم للمباهلة، فلم يستجيبوا للدعوة؛ فهو بذلك لا يسعى في كتابه للحوار الإسلامي المسيحي، وإنما يريد إيجاد أذكار لضعف باطلهم أمام ما أظهره الإسلام من قوة الحق.

## المبحث الرابع: الأخلاق المذمومة باعتبار القلب

كثيرة هي الأخلاق المذمومة المتعلقة بالقلب؛ لأن القلب هو مكنن الحب والكره، وهو مكنن تقبل الآخرين أو الابتعاد عنهم، وشاءت حكمة الله تعالى أن يتعلق الإيمان بالقلب، ويكون الحكم على الإنسان بالإيمان بما يطمئن إليه قلبه أو يبتعد عنه، ولذلك لا يمكن أن يظهر ما في القلب إلا بما يمارس على أرض الواقع، وهذه الأخلاق القلبية يصعب ملاحظتها إلا عندما تقترن بأفعال وسلوك، وهنا كانت حكمة الله في إظهار مخزون قلوبهم، وفيما يلي بسط القول لتلك الأخلاق القلبية:

### المطلب الأول: الحسد

بين سبحانه أن الحسد لا يؤثر في زوال ما أنعم الله به على المسلمين، فإنه سبحانه يختص برحمته وإحسانه من يشاء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة: 105)، وقال: ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادٍ﴾ (البقرة: 90)، غير أن النصارى بحسدهم توقعوا زوال النعمة عن المسلمين، ويظهر ذلك من خلال استقراء الباحث للآيات القرآنية التي تحدثت عن الذين حسدوا المسلمين على النعم التي أنعمها الله عليهم، ومن هؤلاء الحساد النصارى، فكل شيء في آل عمران من ذكر أهل الكتاب هو في النصارى، ولفظ أهل الكتاب في الآيات يشمل النصارى<sup>1</sup>، وقد يختص الحسد برؤسائهم، وهذا يظهر من الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (آل عمران: 69)، وقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: 109)، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ

<sup>1</sup> انظر: ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، 676/2. والرازي: مفاتيح الغيب، 636/3. وابن عاشور: التحرير والتنوير، 653/1.

أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ (النساء: 44)، و"من" هاهنا للتبعيض، واكتفى القرآن بذكر بعضهم ولم يعمهم؛ لأن مناهجهم من آمن وأتت الله عليهم بقوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (المائدة: 66)، وقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ (آل عمران: 113)<sup>1</sup>.

ومن مظاهر الحسد التي تتجلى من خلال استقراء الآيات القرآنية الكفر بمحمد ﷺ، وما جاء به من القرآن، لقوله تعالى: ﴿بِشَّمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (البقرة: 90)، فقد كرهوا ذلك لما كانت تذهب منافعهم التي كانت لهم والرئاسة بخروجه ﷺ، كما تمنوا عدم حصول الخير للمسلمين، لقوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِمَّنْ رَزَقَكُمْ﴾ (البقرة: 105)، فقد تمنى المشركون وكفرة أهل الكتاب أن لا ينزل الله عليهم الفرقان وما أوحاه إلى محمد ﷺ من حكمة وآيات، وقد أحبوا ذلك حسداً وبغياً منهم على المسلمين<sup>2</sup>.

ويظهر الحسد كذلك في تمنيههم إضلال المسلمين، حتى لو أضلوا أنفسهم لتحقيق ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة: 109)، وقوله: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (آل عمران: 69)، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (النساء: 44)، فقد اجتهد أهل الكتاب في إضلال من آمن بالرسول ﷺ بإلقاء الشبهات الدينية والدنيوية، ومن هذه الشبهات قولهم للمسلمين إن ديننا أفضل من

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 8/255.

<sup>2</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 2/470. والماتريدي: تفسير الماتريدي، 1/530.

دينكم، ونحن أهدى منكم سبيلاً، وإخبارهم أن محمداً مقر بموسى وعيسى ويدعي لنفسه النبوة، وقد أخبر موسى في التوراة بأن شرعه لا يزول<sup>1</sup>، وهم بذلك إنما يضلون أنفسهم من خلال عدم قبول المؤمنين ما يدعونهم إليه من ترك الاسلام إلى غيره من الأديان فيحصل عليهم حينئذ الإثم والوبال، والاستدعاء إلى الضلال، وإن فعل الضلال يرجع عليهم، كمن يقال عنه: ما أهلك إلا نفسه، أي لا يعتد بهلاك غيره في عظم هلاكه<sup>2</sup>، ولذلك استحقوا بفعلهم هذا غضب الله ولعنته، لنقضهم الميثاق الذي أخذه عليهم في كتابهم باتباع محمد ﷺ وتصديقه، والإقرار بنبوته<sup>3</sup>، ولتفضيلهم النصرانية على الإسلام، لتثبيت لهم الرياسة، وليأخذوا الرشا على ذلك، وليس هناك حالة أسوأ ولا أفحش ممن جمع بين هذين الأمرين، أي: الضلال والإضلال<sup>4</sup>.

كما يظهر من خلال استقراء الباحث الأثر الذي أحدثه الحسد عند النصارى في الاختلاف والافتراق، لقوله تعالى: ﴿وَمَا اٰخْتَلَفَ الَّذِيْنَ اٰتُوْا اَلْكِتٰبَ اِلَّا مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِئْاً بَيْنَهُمْۗ﴾ (آل عمران: 19)، "فما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسداً بينهم وطلباً منهم للرياسة وحظوظ الدنيا، واستتباع كل فريق ناساً يطانون أعقابهم، لا شبهة في الإسلام"<sup>5</sup>، وترتب على ذلك الأثر كذلك حسدهم الرسول ﷺ والمسلمين على النبوة بشكل عام.

وقد وضح الله جزاء النصارى الذين حسدوا المسلمين باستحقاقهم غضب الله عليهم ولعنهم، لقوله تعالى: ﴿فَبَآءُ وِ بَعْضِ عَلَىٰ عَظِيْٓمٍ وَّلِلْكَٰفِرِيْنَ عَذٰبٌ مُّهِِيْنٌۙ﴾ (البقرة: 90)، كما أنهم وقعوا في الضلال، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّوْنَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْۗ وَمَا يَشْعُرُوْنَۙ﴾ (آل عمران: 69)، وأما في الآخرة فقد استحقوا عذاباً مهيناً لقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِيْنَ عَذٰبٌ مُّهِِيْنٌۙ﴾ (البقرة: 90).

<sup>1</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 176/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 255/8.

<sup>2</sup> انظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، 494/2.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 501/6.

<sup>4</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 91/10.

<sup>5</sup> الزمخشري: الكشاف، 346/1.

يتضح مما سبق اتصاف فريق من النصارى بالحسد، وقد كان حسدهم هذا في حق المسلمين لأسباب دينية أو دنيوية، متجاهلين نصوص كتابهم المقدس التي تنهاهم عنه، ومنها: **إفَاطِرْحُوا كُلَّ خُبْتٍ وَكُلَّ مَكْرٍ وَالرِّيَاءَ وَالْحَسَدَ وَكُلَّ مَذْمَةٍ** [رسالة بطرس الرسول الأولى: 1/2]، و**لا أسير مع من يذوب حسداً؛ لأن مثل هذا لا حظ له في الحكمة** [سفر الحكمة 25/6].

### المطلب الثاني: النقم

وصف النصارى بالنقم على المسلمين، مظهرين ذلك بعدد من أفعالهم المذمومة، فقد أمروا في كتابهم المقدس بالمحبة والإحسان إلى أعدائهم، وليس فقط لمن خالفهم الدين **أَجِبُوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعِينِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ** [متى: 44/5]، وقد كان هذا الخلق المذموم ظاهراً فيهم كما في قوله الله تعالى: **﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾** (٥٨) **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾** (المائدة: 58-59)، وأشار المفسرون إلى أن المنعوتين في الآية هم النصارى، فقد كان هناك رجلٌ من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حُرِّقَ الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام، فسقطت شرارة، فأحرقت البيت، فاحترق هو وأهله<sup>1</sup>.

وبالنظر في الآية السابقة يلحظ أن المقصود بقول الحق: **﴿هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا﴾** (المائدة: 59): تجدون علينا، فالنقم معناه الإنكار باللسان، أو بالعقوبة، وهو بخلاف الانتقام: الذي يعني الانتصار<sup>2</sup>، وذلك أن أهل الكتاب قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه: "والله ما نعلم أهل دين أولى حظاً في الدنيا والآخرة ديناً ولا دنيا شرار دينكم"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 432/10.

<sup>2</sup> انظر: الطبري: المصدر السابق، 433/10. والما تردي: تفسير الما تردي، 548/3. والالوسي: روح المعاني، 340/3.

<sup>3</sup> الثعلبي: الكشف والبيان، 85/4.

ومن مظاهر نغم النصارى على المسلمين استهزاؤهم بأذان المسلمين وصلاتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: 58)، وذلك أنهم كانوا إذا أذن المسلمون للصلاة تضحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والجنون تجهيلاً لأهلها، وتنفيراً للناس عنها، وعن الداعي إليها، فيرون المنادي إليها بمنزلة اللاعب الهازئ بفعلها جهلاً منهم بمنزلها<sup>1</sup>، ولذلك كرهوا إيمان المسلمين بالله، والقرآن، والكتب السابقة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِيقُونَ﴾ (المائدة: 59)، فهل يجد أهل الكتاب في هذا الإسلام إلا الإيمان بالله والإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والإيمان بجميع الأنبياء الذين كانوا قبل محمد! فيعني أن هذا ليس مما ينقم عليه، فالإيمان بالله فهو رأس جميع الطاعات، وأما الإيمان بمحمد وبجميع الأنبياء هو الحق والصدق؛ لأنه إذا كان الطريق إلى تصديق بعض الأنبياء في ادعاء الرسالة والنبوة هو المعجز، ثم رأينا أن المعجز حصل على يد محمد عليه الصلاة والسلام وجب الإقرار بكونه رسولا، فأما الإقرار بالبعض وإنكار البعض فذلك كلام متناقض، ومذهب باطل، فثبت أن الذي نحن عليه هو الدين الحق والطريق المستقيم، فلم تنقموه علينا!<sup>2</sup>

وقد ختمت الآية السابقة ببيان فسقهم بخروجهم عن الدين في مقابل التزام المسلمين به، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِيقُونَ﴾ (المائدة: 59)، فكأنه قيل لهم: وما تتكرون علينا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه<sup>3</sup>. وخص القرآن أكثرهم بوصف الفسق لسببين ذكرهما الرازي<sup>4</sup>، وهما:

<sup>1</sup> انظر: الطوسي: التبيين في تفسير القرآن، 567/3.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 389/12.

<sup>3</sup> انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 650/1.

<sup>4</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 390/12.

أ. أكثر من يفعلون ذلك، إنما يفعلونه طلباً للرياسة والجاه وأخذ الرشوة والتقرب إلى الملوك، فأنتم في دينكم فاسق لا عدول، فإن الكافر والمبتدع قد يكون عدل دينه، وقد يكون فاسق دينه، ومعلوم أن كلهم ما كانوا كذلك فلذلك خص أكثرهم بهذا الحكم.

ب. ذكر أكثرهم لئلا يظن أن من آمن منهم داخل في ذلك.

وبين القرآن كذلك بأنهم لا يعقلون، لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: 58)، فهم يجهلون ما لهم في إجابة دعوة الإسلام فاعتبروا بمنزلة من لاعقل له يمنعه من القبائح ويردعه من الفواحش<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: الفرع بالباطل

وصف القرآن فريق من النصارى بالفرح بالباطل، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 188)، وذكرت كتب التفسير هذا الفريق بأنهم النصارى، وقد أشار الله إلى ذلك في الآيات التي تسبق هذا الآية فقال: ﴿الَّذِينَ أَتَوْا آلَ كِتَابٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (آل عمران: 186)، وقال ابن عباس: "الذين أتوا الكتاب" يعني اليهود والنصارى، فقد كان فرحهم في تحريف نصوص التوراة والإنجيل وتفسيرها بتفسيرات باطلة ثم حبهم أن يحمدا بأنهم أهل الدين والديانة والعفاف والصدق والبعد عن الكذب، وكتمان الحق عندما سألهم النبي ﷺ عن شيء من كتابهم فأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه، وكتمان النصوص الدالة على مبعثه ﷺ، فاجتمعوا على تكذيبه ﷺ<sup>2</sup>.

وقد بين القرآن أنهم ممن يفعل الشر والخسة ثم لا يقف عند حد الانكسار لما فعل أو يطالب الستر على شئعته، بل يرتقي فيترقب ثناء الناس على سوء صنعه، ويتطلب المحمداً عليه، إلا أن الحق سبحانه لا يغفل

<sup>1</sup> انظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، 568/3.

<sup>2</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 466/7-470. والرازي: مفاتيح الغيب، 457/9.

عن هذه الفئة التي فرحت بالباطل فيبين الجزاء الذي يلقونه بقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ط  
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 188)، فلا يظنون النجاة من عذاب الله الذي أعدّه لأعدائه في الدنيا  
من الخسف والمسخ والرجف والقتل<sup>1</sup>، ولهم عذاب في الآخرة أيضاً مؤلم وجيع.

---

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 472/7. وابن عاشور: التحرير والتنوير، 193/4.

## المبحث الخامس: الأخلاق المذمومة باعتبار الفكر

وصف القرآن النصارى بصفات تتعلق بالفكر باعتباره مصدراً لهدي الإنسان كي يسير على صراط مستقيم، غير أن هذا الفكر عندما يعوج أو يسير على غير الهدى المخصص له فإنه يقع في بواطن خفية وشبهات تبعده عن الصراط السوي، وعبر استعراض الباحث للآيات فإن النصارى يمكنهم تجنب هذا الخلق الذميمة، لكن العناد وتحريف الحق وكتمانه يجعلهم يقتربون من هذه الأخلاق الذميمة والأولى هو الابتعاد عنها، وفيما يأتي بسط القول في ذلك:

### المطلب الأول: التعصب

إن خلق التعصب ملازم للنصارى رغم تحذير القرآن الكريم من ذلك، فقد نعتت الآيات القرآنية عموم النصارى به، لوضوح دلالة الآيات عليهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ﴾ (المائدة: 18)، وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ (البقرة: 113)، كما خصت فريقاً منهم، وهم:

أ. وفد نجران الذين اختصموا عند النبي ﷺ، "فقالن لليهود: ليست النصارى على شيء، ولا يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، وكفروا بالإنجيل وبعيسى، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء، وكفروا بالتوراة وبموسى"<sup>1</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ (البقرة: 113).

ب. علماء النصارى، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ﴾ (البقرة: 145)، فالمراد ب: "أوتوا الكتاب" علماءهم الذين أخبر الله تعالى عنهم في الآية

<sup>1</sup> ابن الجوزي: زاد المسير، 102/1.

المتقدمة بقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة: 144)، وبقوله:

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: 113)، فالموصوفون حالهم أنهم من أهل العلوم والتلاوة للكتب<sup>1</sup>.

ج. بعض الأفراد من أهل الكتاب: فقد خاطب يهودي النصارى، فقال: ليست النصارى على شيء فأنزل

الله قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَبَسَتْ لَوَاسِيَّ عَلَيَّ شَيْءٌ﴾ (البقرة: 113)، والأولى حمله على ظاهره فقوله

"اليهود" يفيد العموم، فما الوجه في حمله على التخصيص، ومعلوم من طريقة اليهود والنصارى أنهم

منذ كانوا فهذا قول كل فريق منهما في الآخر<sup>2</sup>.

د. النصارى الذين كانوا في زمن عيسى عليه السلام، فقد اختلف المفسرون فيمن هم الذين عناهم الله

تعالى، أهم الذين كانوا من بعثة عيسى عليه السلام أو في زمن محمد ﷺ<sup>3</sup>.

ومن الآيات التي تناولت مظاهر التعصب عند النصارى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ

كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ (البقرة: 111)، فقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا،

وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، مع العلم بأن كل واحد من الفريقين يكفر الآخر،

فقال الله لنبيه ﷺ أخبرهم أن ذلك من جملة الأمانى والشهوات التي يشتهونها ويتمنونها على الله بغير حق<sup>4</sup>،

ولم ترد في كتبهم، وقوله كذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَبَسَتْ لَوَاسِيَّ عَلَيَّ شَيْءٌ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَبَسَتْ لَوَاسِيَّ الْيَهُودِ

عَلَيَّ شَيْءٌ﴾ (البقرة: 113)، فقد وصف كل فريق الآخر بأنهم ليسوا على حظ من الحق، وذلك كناية عن

عدم صحة ما بين أيديهم من الكتاب الشرعي، فكل فريق من الفريقين رمى الآخر بأن ما عنده من الكتاب

لاحظ فيه من الخير، كما دل عليه قوله تعالى بعده: "وهم يتلون الكتاب"؛ فإنه جملة حالية جيء بها لمزيد

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 107/4.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 9/4.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 9/4.

<sup>4</sup> انظر: الثعلبي: الكشف والبيان، 259/1. الرازي: المصدر السابق، 107/4.

التعجب من شأنهم أن يقولوا ذلك وكل فريق منهم يتلون الكتاب وكل كتاب يتلونه مشتمل على الحق لو اتبعه أهله حق اتباعه، ولا يخلو أهل كتاب حق من أن يتبعوا بعض ما في كتابهم أو جل ما فيه فلا يصدق قول غيرهم أنهم ليسوا على شيء<sup>1</sup>.

وقد يجتمع اليهود والنصارى في هذا الخلق إذ لم تفرق الآيات القرآنية بينهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ﴾ (البقرة: 145)، فاليهود يصلون قبل المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قبل المشرق<sup>2</sup>، فهم بذلك لا يجتمعون على قبلة واحدة مع إقامة كل حزب منهم على ملتهم، "قال تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد لا تشعر نفسك رضا هؤلاء اليهود والنصارى، فإنه أمر لا سبيل إليه؛ لأنهم مع اختلاف ملتهم لا سبيل لك إلى إرضاء كل حزب منهم، من أجل أنك إن اتبعت قبلة اليهود أسخطت النصارى، وإن اتبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود، فدع ما لا سبيل إليه، وادعهم إلى ما لهم السبيل إليه من الاجتماع على ملتك الحنيفية المسلمة، وقبلك قبلة إبراهيم والأنبياء من بعده"<sup>3</sup>، وقوله تعالى أيضا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (آل عمران: 73)، فهم أتوا بذلك الإيمان لأجل أتباعهم، فغرضهم من ذلك التلبس بقاء أتباعهم على دينهم<sup>4</sup>، واجتمعوا كذلك في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ (المائدة: 18)، فقد افتخروا على المسلمين بذلك، وقالوا: ما أحد من الناس أعظم عند الله منزلة منا، ويرجع سبب قولهم ذلك إلى ما أولوه في الكتاب المقدس لديهم بأن عيسى عليه السلام قال: **إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ** (يوحنا: 17/20)؛ ولذلك قالوا: نحن أبناء الله، وقولهم في المسيح عليه السلام: ابن الله، وهم يرجعون إليه، فجعلوا

<sup>1</sup> انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 676/1.

<sup>2</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 85/1.

<sup>3</sup> الطبري: جامع البيان، 186/3.

<sup>4</sup> انظر: الماتريدي: تفسير الماتريدي، 406/2.

بذلك أنفسهم أبناء الله وأحباءه<sup>1</sup>، كما اجتمع اليهود والنصارى كذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْنٌ نُّؤْمِنُ بِبَعْضِ وَرَكَفُرُ بِبَعْضِ﴾ (النساء: 150)، وهذا كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم، وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم<sup>2</sup>.

غير أن القرآن الكريم لم يترك لهم هذا الإفك والزعم على إطلاقه، بل جاءت الآيات القرآنية لترد عليهم:

1- بما نسبه الله إليه من أنه هو من يختار الذي يدخل الجنة أو النار من عباده، ومقياس ذلك إخلاص العبد دينه وعمله لله محسناً في القول والفعل، لقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسَاءَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 112)، ويقصد به أن النصارى على ما هم عليه لا يفوزون بالجنة، بل إن غيروا طريقتهم وأسلموا وجههم لله وأحسنوا فلهم الجنة، فيكون ذلك ترغيباً لهم في الإسلام، وبياناً لمفارقة حالهم لحال من يدخل الجنة لكي يقلعوا عما هم عليه ويعدلوا إلى هذه الطريقة<sup>3</sup>.

وخص "الوجه" بالذكر دون سائر الجوارح؛ لأن أكرم أعضاء ابن آدم وجوارحه وجهه، وهو أعظمها عليه حرمة وحقاً، فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزاء جسده عليه فغيره من أجزاء جسده أحرى أن يكون أخضع لله<sup>4</sup>.

والله هو الذي يوقع الهداية في القلوب، ولا يكون ذلك حسب أهوائهم، لقوله: ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى

اللَّهِ﴾ (آل عمران: 73)، فقد استخدموا حيلة في تشكيك ضعفة المسلمين في صحة الإسلام، بأن يظهروا

<sup>1</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 289/1. والماتريدي: المصدر السابق، 487/3. والجصاص: أحكام القرآن، 41/4.

<sup>2</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 252/9.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 6/4.

<sup>4</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 511/2.

تصديق ما ينزل على محمد ﷺ من الشرائع في بعض الأوقات، ثم يظهروا بعد ذلك تكذيبه، فأطلع الله المؤمنين على تواطئهم على هذه الحيلة فلم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين، ولولا هذا الإعلان لأثرت هذه الحيلة في قلب بعض من كان في إيمانه ضعف، وبفضح الله لهم فيها رادع لهم في الإقدام على أمثالها من الحيل والتلبيس<sup>1</sup>.

والله هو الذي يصطفي للنبوّة من يريد من عباده، لقوله: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 73)، فهو المالك للتفضيل بالنبوّة التي يؤتيها من يشاء من عباده، وهذا دليل على أن النبوّة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق<sup>2</sup>، وذلك أن علماء أهل الكتاب قالوا لضعفائهم: "لا يكون نبي مثل نبيكم ولا كتاب مثل كتابكم"<sup>3</sup>.

والله هو الذي يختص بالرحمة بالعباد، لقوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (آل عمران: 74)، فقد اختص الله عز وجل برحمته المؤمنين من عباده<sup>4</sup>، أنه هو من بيده تعذيب العباد والمغفرة لهم، لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَلَلُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: 18)، فإنه إن عذبكم بذنوبكم، لم يكن لكم منه مانع ولا لكم عنه دافع؛ لأنه لا نسب بين أحد وبينه فيحايبه لسبب ذلك، ولا لأحد في شيء ومرجعه، فاتقوا أيها المفترون عقابه إياكم على ذنوبكم بعد مرجعكم إليه، ولا تغتروا بالأمانى وفضائل الآباء والأسلاف<sup>5</sup>، وكذلك هو من له الحكم بين العباد، قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 258-257/8.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 261/8.

<sup>3</sup> مكي: الهداية إلى بلوغ النهاية، 1049/2.

<sup>4</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 177/1.

<sup>5</sup> الطبري: جامع البيان، 154/10.

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ (البقرة: 113)، فيحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه، ولقولهم في الله تعالى بما لا يليق<sup>1</sup>.

2- ببيان أن ما ادعوه إنما كان من باب التمني على الله بغير الحق، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمْثَلُهُمْ﴾ (البقرة: 111)، فادعاءاتهم باطلة وأمانيمهم كاذبة<sup>2</sup>.

3- بتكذيب أقوالهم التي لا دليل ولا برهان عليها، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111)، أي حجتكم من التوراة والإنجيل إن كنتم صادقين بما تقولون، وإنما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا ليس على ما نفوا؛ لأنهم لم يذكروا دخول أنفسهم الجنة تصريحاً، إنما نفوا دخول غيرهم لها<sup>3</sup>.

4- بوصف الله أقوالهم وأفعالهم أنها من الهوى الذي يظلم به الإنسان نفسه، لقوله تعالى: ﴿وَلِيْنِ أَتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِسْتَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 145)، "فوصفهم الله بأنهم يتبعون الهوى، ومن اعتقد في الباطل أنه حق فإنه لا يكون متبعاً لهوى النفس، بل يكون في ظنه أنه متبع للهدى، فأما الذين يعلمون بقلوبهم، ثم ينكرون بألسنتهم، فهم المتبعون للهوى"<sup>4</sup>، فإن من يفعل ذلك يصبح من عباد الله الظالمين أنفسهم، المخالفين أمره، التاركين طاعته<sup>5</sup>.

5- بوصف الله لهم بالكفر؛ لتفرقتهم بين أنبيائه بعدم إيمانهم بهم جميعاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ

<sup>1</sup> انظر: الماتريدي: تفسير الماتريدي، 542/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 10/4.

<sup>2</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 508/2.

<sup>3</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 72/1. والماتريدي: تفسير الماتريدي، 540/1.

<sup>4</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 107/4.

<sup>5</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 187/3.

أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ (النساء: 150-151)، "فهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم، فهم بالله وبرسوله الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون كافرون، فهم الجاحدون وحدانية الله ونبوة أنبيائه، حقّ الجحود المكذبون بذلك حقّ التكذيب، فاحذروا أن تغتروا بهم وببذعتهم، فإننا قد أعدنا لهم عذاباً مهيناً"<sup>1</sup>.

يتضح مما سبق وصف الله للنصارى بالتعصب الديني، مؤكدين ذلك بكثير من أقوالهم وأفعالهم، التي رد الله عليها في كل مرة ليزيل ما ادعوه باطلاً ويظهر الحق الذي يقوم على العدل والإنصاف بين العباد، الذي تجاوزوه بهذا التعصب المقيت المذموم في كتابهم المقدس بكل أنواعه [لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ، لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ، لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ] (الرسالة إلى أهل غلاطية: 28/3).

### المطلب الثاني: العناد والمجادلة والإعراض

وصف الله تعالى بعض البشر بالعناد والإعراض عن الحق، وكون النصارى من خلق الله تعالى فكان هذا الوصف بحقهم لأسباب وعلل، فقد وقف المفسرون على الآيات التي تحدثت عن عنادهم وفصلوا فيها كما تظهر أسباب نزولها، فقد نزلت الآيات في خصومة وفد بني نجران مع النبي ﷺ بعد ما بين لهم أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، فرفضوا قبول ذلك فدعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة فلم يستجيبوا لذلك؛ خوفاً على أنفسهم من الهلاك، فكان التناسب في سياق الآيات، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٣٠﴾ (آل عمران: 64) دعوة للنصارى؛ لأنهم جمعوا بين

<sup>1</sup> الطبري: المصدر السابق، 353/9.

هذه الثلاثة فيعبدون غير الله وهو المسيح، ويشركون به غيره وذلك؛ لأنهم يقولون إنه ثلاثة: أب وابن وروح القدس، فأثبتوا ذوات ثلاثة قديمة سواء<sup>1</sup>، فكان النصارى أكثر من اهتم بمحاجة النبي ﷺ؛ وذلك لأن اليهود قد تظاهروا بمسالمة المسلمين في المدينة والمشركون قد تباعدوا ما بينهم وبين النبي ﷺ بعد الهجرة<sup>2</sup>، وقد يظهر العناد عند علماء أهل الكتاب الذين اجتمعوا عند النبي ﷺ، فتنازعو في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: ما كان إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً<sup>3</sup>.

وقد فصل الباحث في مظاهر هذه الأخلاق الذميمة في القرآن الكريم بما يلي:

أولاً: العناد، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: 118)، ولم يستجب الله لهذا العناد في التشكيك بنوته ﷺ لعدد من الأسباب التي بيّنها الرازي<sup>4</sup>، وهي:

- 1- لأن من كان غرضه طلب الحق لاكتفى بمعجزة القرآن، فحيث لم يكتف بها وطلب الزائد عليها علم أن ذلك يُطلب من باب العناد واللجاج فقط، فلم تكن إيجابتها واجبة.
- 2- لو كان في معلوم الله تعالى أنهم يؤمنون عند إنزال هذه الآية لفعلمها، ولكنه علم أنه لو أعطاهم ما سأله لما ازدادوا إلا لجاجاً.
- 3- حتى لا يصل بهم إيراد تلك الآيات إلى حد الإلجاء المخل بالتكليف.
- 4- ربما كانت كثرة الآيات، وتعاقبها يقدر في كونها معجزة، لأن الخوارق متى تواترت صار انخراق العادة عادة، فحينئذ يخرج عن كونه معجزاً وكل ذلك أمور لا يعلمها إلا الله علام الغيوب فثبت أن عدم إسعافهم بهذه الآيات لا يقدر في النبوة، وقد أكد القرآن على حقيقة، وهي تشابه القلوب بين اليهود

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 8/252.

<sup>2</sup> انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 3/200.

<sup>3</sup> انظر: الجصاص: أحكام القرآن، 2/297.

<sup>4</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 4/27-28.

والنصارى، فذكر الماوردي هذا التشابه، فقد تمتت النصارى على ريبها تحكماً منها عليه أن يسمعهم كلامه ويريبهم ما أرادوا من الآيات مشابهين قول اليهود في ذلك<sup>1</sup>.

ثانياً: المجادلة، قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (البقرة: 140)، وقوله: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ (آل عمران: 20)، وقوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْهَلْ فَجَعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: 61)، وقوله: ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: 65)، وقوله: ﴿لَمَّا حَاجَّوْا فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: 66-65)، وقد جادل أهل الكتاب النبي ﷺ في أنبياء الله، ومن ذلك:

1- ادعاهم أن إبراهيم كان على اليهودية أو النصرانية، فأنكر الله ذلك عليهم، وبين أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ (آل عمران: 67)، والحنف في اللغة هو الاستقامة<sup>2</sup>، والإسلام هاهنا هو الطاعة لله تعالى والانقياد لأمره، وكل أحد من أهل الحق يصح وصفه به؛ فلذلك جاز أن يُسمى إبراهيم حنيفاً مسلماً وإن كان القرآن نزل بعده؛ لأن هذا الاسم ليس بمختصّ بنزول القرآن دون غيره، بل يصح صفةً لجميع المؤمنين، ولم تحو نصوص التوراة والإنجيل بأن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً أو نصرانياً؛ لأنهما أنزلا بعد إبراهيم عليه السلام ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ (آل عمران: 65)، فالنصارى ليسوا على ملة إبراهيم؛ لأن المسيح ما كان موجوداً في زمن

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 2/255. والماوردي: النكت والعيون، 1/180.

<sup>2</sup> انظر: السمرقندي: بحر العلوم، 1/98. وابن منظور: لسان العرب، 9/57.

إبراهيم، فما كانت عبادته مشروعة في زمن إبراهيم لا محالة، فكان الاشتغال بعبادة المسيح مخالفة لملة إبراهيم لا محالة<sup>1</sup>، فادعائهم ذلك من غير برهان ولا دليل، فويخهم الله على الكلام في معرض الاستفهام على سبيل الإنكار والغرض منه الزجر والتوبيخ وأن يقرر الله في نفوسهم أنهم يعلمون أنهم كانوا كاذبين فيما يقولون ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ﴾ (البقرة: 140)، وقد ذكر الله أن أولى الناس بإبراهيم فريقان، أحدهما: من اتبعه ممن تقدم، والآخر: النبي وسائر المؤمنين ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 68)، ولأن محمداً ﷺ ثبتت نبوته بسائر المعجزات، وقد أخبر عن كذبهم في ذلك فثبت لا محالة كذبهم فيه<sup>2</sup> ﴿فَجَعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: 61).

2- ادعاء النصارى أن عيسى هو الله أو ولده أو شريكه فدعاهم النبي ﷺ إلى المباهلة بإخراج أبنائهم ونسائهم، وأنفسهم، والتضرع والاجتهاد بالدعاء باللعة على الكاذب، فرفضوا إجابة ذلك حتى لا يهلكوا، ثم صالحوا النبي ﷺ على ألا يغزوه ولا يخيفهم ولا يردهم عن دينهم مقابل بعض الأموال التي سيقدمونها لبيت مال المسلمين<sup>3</sup>.

ثالثاً: الإعراض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (آل عمران: 23)، وقوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: 20)، وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64)، بين الله غاية عناد أهل الكتاب بأنهم يدعون إلى الكتاب الذي يزعمون إيمانهم به، فيتمردون، ويتولون

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 3/123. والرازي: مفاتيح الغيب، 8/253. والجصاص: أحكام القرآن، 2/298.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 4/77+8/255.

<sup>3</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 1/174.

عن استماع الحجة في ذلك المقام، ويعرضون عن استماع سائر الحجج في سائر المسائل والمطالب<sup>1</sup>، وقد بين الله أثر اهتدائهم أو ضلالهم، فقال: ﴿فَإِنْ أَسْمَوْا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (آل عمران: 20)، أي "فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور"<sup>2</sup>، وقال أيضاً: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ (آل عمران: 20)، أي "لا تحزن، ولا تظنن أن عدم اهتدائهم، وخيبتك في تحصيل إسلامهم، كان لتقصير منك؛ إذ لم تُبعث إلا للتبليغ، لا لتحصيل اهتداء المبلِّغ إليهم"<sup>3</sup>.

وقد بين الله منهج المسلمين في التعامل مع هذه الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ (آل عمران: 20)، وقال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64)، فانه يقول لنبيه ﷺ: "إن حاجك يا محمد النفر من نصارى أهل نجران في أمر عيسى صلوات الله عليه، فخاصموك فيه بالباطل، فقل: انقدت لله وحده بلساني وقلبي وجميع جوارحي، وإنما خصّ جلّ ذكره بأمره بأن يقول: أسلمت وجهي لله؛ لأن الوجه أكرم جوارح ابن آدم عليه، وفيه بهاؤه وتعظيمه فإذا خضع وجهه لشيء، فقد خضع له الذي هو دونه في الكرامة عليه من جوارح بدنه، وأسلم من اتبعني أيضاً وجهه لله معي"<sup>4</sup>.

كما بين القرآن الكريم جزاء من يتصف بهذه الأخلاق بتكذيب الله لهم، فقد قالوا: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة: 140). فأجاب عليهم بقوله: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (البقرة: 140)، ويقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ (آل عمران: 67)، والوعيد والتهديد، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: 140).

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 7/178-179.

<sup>2</sup> الزمخشري: الكشاف، 1/347.

<sup>3</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، 3/205.

<sup>4</sup> الطبري: جامع البيان، 6/280.

(140)، فهو الكلام الجامع لكل وعيد، فعلمه محيط بعملهم، وسيجزبهم عليه<sup>1</sup>، وبيان خفة عقولهم بقوله:

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: 65)، أي أفلا تعقلون فساد هذه الدعوى إذ العقل يمنع من الإقامة على

دعوى بغير حجة، فكيف بما قد علم، وظهر فساد المناقضة<sup>2</sup>، وبين الله أن جدالهم يخلو من العلم، وهو

لمحض الجدل فقط، قال تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا

لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 66)، فلا علم لديهم عن أمر

إبراهيم ودينه، فلم يجدوه في كتب الله، ولا أتاهم به أنبيأؤهم، ولا شاهدوه فيعلموا عنه<sup>3</sup>.

يتضح مما سبق وصف الله للنصارى بالمجادلة وذلك في محاولتهم للدفاع عن بعض ما ادعوه من باطلهم،

ولتبرير إعراضهم عن الحق الذي علموه من كتبهم، ولكن يأبى عنادهم أن يرضخ أمام هذا الحق، فيستسلموا

له.

### المطلب الثالث: كتمان الحق

حذر الله تعالى البشرية من كتمان الحق وأمرنا ببيانه، ويظهر عبر استقراء الباحث للآيات القرآنية أن

النصارى لم يظهروا الحق بل حرصوا على كتمانهم رغم معرفته بجزء كتمانهم، وإن المتأمل في آيات القرآن

الكريم المتضمنة كتمان الحق عند أهل الكتاب عامة والنصارى خاصة يظهر لديه بجلاء أنها تتحدث عن

النصارى، فقد نزلت الآيات في أهل الكتاب من النصارى<sup>4</sup>، وقد تشمل الآيات كذلك علماء أهل الكتاب،

فقول الحق: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ

وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (البقرة: 146) فيه وصف بمعرفتهم الحق كما يعرفون أبناءهم، والجمع العظيم الذين إذا

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 78/4. وابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 452/1.

<sup>2</sup> انظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، 489/2.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 492/6.

<sup>4</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 139/4.

علموا شيئاً استحال عليهم الاتفاق على كتمانهم في العادة، فعلمائهم عَرَفُوا بأنهم أوتوا الكتاب: أي علموا علم التوراة وعلم الإنجيل<sup>1</sup>.

ويظهر عبر عرض القرآن الكريم لهذا الخلق المذموم أنهم يعرفون الحق ومع ذلك كتموه، فقد ساق القرآن الكريم الأدلة على ذلك، ومنها: معرفتهم له كمعرفتهم بأبنائهم، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ (البقرة: 146)، (الأنعام: 20)، فالمعرفة تتعلق غالباً بالذوات والأمور المحسوسة، فيعرفون صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاماته المذكورة في كتبهم، ويعرفون الحق كالشيء المشاهد، فهم شهود له ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (آل عمران: 70)، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ (آل عمران: 99)، فقد شهدوا صفات محمد نبي الله ﷺ في كتابهم<sup>2</sup>؛ لأن المعجزات التي ظهرت على يد النبي ﷺ بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرون بها<sup>3</sup>، فالأصل أن يكون النصراني عدولاً بين أهل دينهم، فيثق أهل دينهم بأقوالهم في عظام أمورهم، والأولى لهم أن يكونوا كذلك عقلاء وعلماء بالحق<sup>4</sup>، لقوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: 114).

ومن الآيات القرآنية الدالة على مظاهر كتمانهم للحق ما يأتي:

1- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ (البقرة: 140)، وقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 146)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: 159)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (البقرة: 174)، وقوله: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 71)، فالكتمان

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 110/4. وابن عاشور: التحرير والتنوير، 40/2.

<sup>2</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 503/6. وابن عاشور: التحرير والتنوير، 40/2.

<sup>3</sup> انظر: الماوردي: النكت والعيون، 400/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 256/8.

<sup>4</sup> انظر: الجصاص: أحكام القرآن، 313/2. والزمخشري: الكشاف، 392/1.

ترك إظهار الشيء مع الحاجة إليه، وحصول الداعي إلى إظهاره<sup>1</sup>، ويقصد بـ "من" في قوله: ﴿وَمَنْ

أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ (البقرة: 140) بأنه لا أحد أظلم من الله إن كتم الشهادة،

تعالى الله عن ذلك، أو من أظلم من أهل الكتاب إن كتموا هذه الشهادة، فلم يقيموا عند الله بل كتموها

وأخفوها، أو من أظلم ممن كتم شهادة جاءت من عند الله فجحدها<sup>2</sup>.

وأما الحق الذي كتموه، فيتعلق بأمر محمد ﷺ وصفته ونعته، أو أمر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

والأسباط أنهم كانوا مسلمين، فكتموا ذلك ونحلوه للنصرانية، كما كتموا بيان أن الإسلام دين الله الحق،

فاتخذوا النصرانية<sup>3</sup>.

2- قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 71)،

فقد كان كتمان الحق من خلال تحريف الإنجيل، فكتموا الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ، وكانوا

يذكرون لها تأويلات باطلة، ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد ﷺ، والإقرار

ببعض أمر محمد ﷺ، وكتمان بعضه الآخر، وهم يعلمون أنه نبي الله ورسوله<sup>4</sup>.

3- قوله تعالى: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (البقرة: 174)، وقوله: ﴿وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ

مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: 187)، فقد كان غرضهم من كتمان الشهادة أخذ الأموال من عوامهم

وأتباعهم، أو من كبارهم وأغنيائهم الذين كانوا ناصرين لذلك المذهب، فلو أنهم تابعوا محمداً ﷺ لحبست

عندهم تلك الأموال، وقد سماه الله قليلاً؛ إما لأنه في نفسه قليل، وإما لأنه بالإضافة إلى ما فيه من

الضرر العظيم قليل<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 4/140.

<sup>2</sup> انظر: الطوسي: التبيين في تفسير القرآن، 488/1. والرازي: المصدر السابق، 4/77.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 3/124-126.

<sup>4</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 1/176. والرازي: مفاتيح الغيب، 5/204.

<sup>5</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 1/93. والرازي: مفاتيح الغيب، 5/205.

4- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٧٧﴾ (آل عمران: 187)، فقد أوجب الله على أهل الكتاب

في التوراة والإنجيل، "أن يشرحوا ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على صحة دينه وصدق نبوته

ورسالته، والمراد منه التعجب من حالهم كأنه قيل: كيف يليق بكم إيراد الطعن في نبوته ودينه مع أن

كتبكم ناطقة ودالة على أنه يجب عليكم ذكر الدلائل الدالة على صدق نبوته ودينه"<sup>1</sup>.

وقد نهى الله عن الكتمان بعدما أمر بالبيان مع أن الكتمان يضاد البيان؛ لأن المراد من البيان ذكر تلك

الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل، والمراد من النهي عن الكتمان أن لا يلقوا فيها

التأويلات الفاسدة والشبهات المعطلة، فقابلوا أمر الله بالبيان بالنبذ والطرح والتضييع وترك العمل به، لقوله:

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ﴿١٧٧﴾ (آل عمران: 187)، وفي هذا التعبير استعارة لما يباليغ في اطراحه<sup>2</sup>.

والعدل الإلهي يقتضي دائما أن يعاقب من يكتم الشهادة ولا يظهرها، فالآيات القرآنية تظهر بجلاء العقاب

الرباني لهم بالوعيد والتهديد، قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٠﴾ (البقرة: 140)، فهو الكلام الجامع لكل

وعيد، فعلمه محيط بعملهم، وسيجزئهم عليه<sup>3</sup>؛ لأنهم أهل شك وامترأء، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

الْمُتَّعِبِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ (الأنعام: 114)، فالخطاب للنبي ﷺ، والمراد به غيره من الناس<sup>4</sup>، كما استحق هؤلاء

النصارى الذين كتموا الحق لعنة الله، ولعنة جميع عبادته، لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ

﴾ ﴿١٥٩﴾ (البقرة: 159)، فلعنة الله تكون بإبعادهم، وطردهم من رحمته، ولعنة عباده تكون بسؤال الله بقولهم:

اللهم العنهم<sup>5</sup>، فذم الله صنيعهم هذا، بقوله: ﴿فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ (آل عمران: 187)، أي "ما يختارون

<sup>1</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، 455/9.

<sup>2</sup> انظر: البغوي: معالم التنزيل، 149/2. وابن عطية: المحرر الوجيز، 551/1. والرازي: المصدر السابق، 456/9.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 78/4. وابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 452/1.

<sup>4</sup> انظر: السمرقندي: بحر العلوم، 477/1.

<sup>5</sup> انظر: الثعلبي: الكشف والبيان، 30/2. ومكي: الهداية إلى بلوغ النهاية، 528/1.

لأنفسهم الدنيا على الآخرة<sup>1</sup>، وأما في الآخرة فكان استحقاقهم النار، لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ (البقرة: 174)، فأكلهم في الدنيا وإن كان طيباً في الحال فعاقبته النار<sup>2</sup>، وعدم كلام الله لهم يوم القيامة بكلام طيب يحبونه ويشتهونه<sup>3</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (البقرة: 174)، وحرمانهم من التزكية بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ (البقرة: 174)، فلا يبرئهم من الذنوب ويقال ولا يثني عليهم ثناء حسناً، ولا يقبل أعمالهم كما يقبل أعمال الأذكياء، ولا ينزلهم منازل الأذكياء، فكان خسرانهم منازلهم في الجنة، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 20)، فإنه ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله منزلة في الجنة، فمن كفر صارت منزلته إلى من أسلم فيكون قد خسر نفسه وأهله بأن ورث منزلته غيره<sup>4</sup>.

فيتضح مما سبق وصف الله لفريق من النصارى بكتمان الحق، وهذا الفريق يمثله علماءهم ورؤساؤهم الذي اجتهدوا في هذا الكتمان لتحقيق غايات دنيوية بأساليب ضعيفة، فالحق لا بد أن يظهر ما حاول الباطل تغطيته.

#### المطلب الرابع: تحريف الحق

وصف الله علماء النصارى بتحريف الحق، ولا يتعجب ذلك منهم فقدوا جعلوا إرسال الله لنبيه عيسى عليهم السلام لهداية الناس، إرسالاً لولده لكي يضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة آدم عليه السلام وعن أخطاء بنييه الذي جاءوا من بعده، فهذا القول بتوارث الخطيئة يرد عليه بما في كتابهم المقدس بما ينكر أصولها [لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل] (سفر التثنية: 16/24)، وعبرت

<sup>1</sup> السمرقندي: بحر العلوم، 273/1.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 205/5.

<sup>3</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 330/3.

<sup>4</sup> انظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، 89/2. والرازي: مفاتيح الغيب، 500/12+206/5.

الآيات القرآنية عن تحريف الحق بشكل بارز عبر الحديث عن الموصوفين بتحريف الحق، وهم النصارى، فقد خاطبهم الله في قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (آل عمران: 71)، وتشمل علماءهم كذلك دلالة قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (آل عمران: 71)، وقوله: ﴿وَهُمْ يَعْمُونَ﴾ (آل عمران: 78)، ففيها إشارة لعلمائهم أرباب العلم والمعرفة<sup>1</sup>.

ومن الآيات القرآنية الدالة على مظاهر تحريفهم للحق ما يأتي:

1- قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (البقرة: 79)، فالكتابة في الآية كانت بمحو بعثه وصفته ﷺ عن كتبهم، ويحدثون كتابة على غير بعثه وصفته، ثم يقولون للأعراب: هذا من عند الله، وقد علموا يقينا اذا كتبوه بأيديهم انه ليس من عند الله<sup>2</sup>، وبين القرآن سبب فعلهم ذلك لأجل العرض اليسير الذي يعطيهم إياه سفلتهم كل سنة من الزروع والثمار، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَتْ رُؤُوسُهُمْ فِيهَا رِجَالٌ مُدْمِنِينَ مِنَ الْمَخْمَرِ وَالْبَخَارِ﴾ (البقرة: 79)، فهذا يدل على أنهم ما فعلوا ذلك التحريف ديانة بل إنما فعلوه طلباً للمال والجاه<sup>3</sup>.

2- قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (آل عمران: 71)، ويقصد بهذا التلبس تحريف كتبهم، فيخلطون المنزل على نبيه بالمحرف بأيديهم مع يقينهم ما يدل على نبوة محمد ﷺ من البشارة والنعمة والصفة فكان في كتبهم ما يوهم عكس ذلك، فيلبسون على الضعفاء أحد الأمرين بالآخر، كما أنهم كانوا يلقون الشبهات، كقولهم: إن محمداً معترفٌ بأن موسى عليه السلام حق، ثم إن التوراة دالة على أن شرع موسى عليه السلام لا ينسخ، فخلطوا بين ما أظهره بألسنتهم من التصديق بمحمد ﷺ، وما جاء به من عند الله، مع الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية، فقد تواضعوا

<sup>1</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 257/8.

<sup>2</sup> انظر: الماتريدي: تفسير الماتريدي، 500/1. والطوسي: التبيان في تفسير القرآن، 319/1. والسمعاني: تفسير القرآن، 100/1.

<sup>3</sup> انظر: مقاتل: تفسير مقاتل، 59/1. والرازي: مفاتيح الغيب، 565/3.

على إظهار الإسلام أول النهار، ثم الرجوع عنه في آخر النهار<sup>1</sup>، وقد يأتي معنى التلبس بتلبس اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقد علموا أن دين الله الذي لا يقبل غيره الإسلام ولا يجزي إلا به، فأمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد ﷺ، فأدخلوا في دينهم الأكاذيب والخرافات والتأويلات الباطلة، حتى ارتفعت الثقة بجميعه<sup>2</sup>.

3- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَسْتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 78)، وذلك بتغيير ألفاظ الكتب المنزلة عليهم، أو بتغيير إعرابهما، أو بتشويش دلالة الآيات المشيرة لنبوة محمد ﷺ؛ بإلقاء الشكوك والشبهات فيها<sup>3</sup>.

وقد كان أهل الكتاب في نسبة ذلك التحريف إلى الله متحيرين: فإن وجدوا قوما من الأغمار والبله الجاهلين بالكتب المقدسة نسبوا ذلك المحرف إليها، وإن وجدوا قوما عقلاء أذكياء زعموا أنه موجود في كتب سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام<sup>4</sup>.

وقد حرم الله تعالى تحريف الحق، وبين مصير من يفعلون ذلك بوعيد الله بشديد عذابه على ما حرفوه بأيديهم، ولما أخذوه من الحرام لأجل ذلك، لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ تَرُؤُا بِهِءَ تَمْنَا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: 79)، وكرر القرآن استخدام "الويل" في حقهم؛ لأن كتابتهم ذلك ذنب عظيم بانفرادها، فكيف لو أضيف لها أخذ المال عليها، فاستحقوا الويل ثلاث مرات<sup>5</sup>، ثم لعن الله لهم، لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﷻ﴾ (النساء: 52).

<sup>1</sup> انظر: الطبري: الطبري: جامع البيان، 504/6-505. والرازي: مفاتيح الغيب، 257/8.

<sup>2</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 504/6. والماوردي: النكت والعيون، 401/1. وابن عاشور: التحرير والتنوير، 279/3.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 269/8.

<sup>4</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 269/8.

<sup>5</sup> انظر: الرازي: المصدر السابق، 565/3.

## المطلب الخامس: الغلو في الدين

بالغ النصارى في الإضفاء على صفات سيدنا عيسى عليه السلام بما يتعارض مع بشريته، رغم حديثه إليهم بأنه بشر من عند الله وآية من آيات الله تعالى، وقد بينت آيات القرآن الكريم الموصوفين بهذا الغلو، وهم النصارى، فقد نزلت الآيات في وفد نجران الذين قالوا لرسول الله ﷺ: لم تعيب صاحبنا قال ﷺ: ومن صاحبكم؟ قالوا عيسى، قال: وأي شيء قلت؟ قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله، قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله<sup>1</sup>.

ومن مظاهر غلو النصارى في الدين كما بينته الآيات القرآنية:

1- الغلو في بشرية عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ

مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿٧٦﴾ (النساء: 171)، فالغلو هو

المجازة عن الحد الذي حد للناس، فالنسطورية قالوا: عيسى ابن الله، والماريعقوبية قالوا: عيسى هو

الله، والمرقوسية: قالوا: ثالث ثلاثة، والملكانية قالوا: عيسى والرب شريكان<sup>2</sup>، تعالى الله عن هذه الأقوال

علواً كبيراً. وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴿٧٧﴾﴾ (المائدة: 77)، فالغلو في الدين

نوعان: غلو حق: وهو أن يبالغ في تقريره وتأكيده، وغلو باطل: وهو أن يتكلف في تقرير الشبه، وإخفاء

الدلائل؛ لادعاء ألوهية عيسى عليه السلام<sup>3</sup>.

وقد رد الله تبارك وتعالى على غلوهم بصريح النص القرآني من خلال بيان حقيقة عيسى بأنه كلمة الله؛ فقد

وجد بكلمته وأمره لا غير، من غير واسطة أب ولا نطفة، وروح منه تعالى؛ لأنه ذو روح وجد من غير جزء

<sup>1</sup> انظر: الثعلبي: الكشف والبيان، 420/3.

<sup>2</sup> انظر: السمرقندي: بحر العلوم، 273/1.

<sup>3</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 411/12.

من ذي روح، كالنطفة المنفصلة من الأب الحي، وإنما اخترع اختراعاً من عند الله وقدرته خالصة<sup>1</sup>، لقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْفَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (النساء: 171)، وأنه عبد الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (النساء: 171)، وقال: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ﴾ (النساء: 172)، فقد زعم النصارى أن عيسى ابن الله؛ لأنه كان يخبر عن المغيبات، ويأتي بخوارق العادات من الإحياء والإبراء، فهذا القدر من العلم والقدرة، تفوق عليه الملائكة المقربين؛ لاطلاعهم على اللوح المحفوظ، ولأن ثمانية منهم حملوا العرش على عظمته، ثم إن الملائكة مع كمال حالهم في العلوم والقدرة لا يستتكفوا عن عبودية الله، فكيف يستتكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر القليل الذي كان معه من العلم والقدرة<sup>2</sup>.

2- الغلو في وصف الله باتخاذ الزوجة والولد، فقد بين الله تنزهه عن ذلك فله ملك السموات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (النساء: 171)، فمن "كان مالكا لكل السموات والأرض ولكل ما فيها كان مالكا لعيسى ولمريم؛ لأنهما كانا في السموات وفي الأرض، وما كانا أعظم من غيرهما في الذات والصفات، وإذا كان مالكا لما هو أعظم منهما، فأن يكون مالكا لهما أولى، وإذا كانا مملوكين له فكيف يعقل مع هذا توهم كونهما له ولداً وزوجة"<sup>3</sup>.

وقد بين القرآن أن ذلك الغلو قد نتج عن اتباع أهواء رؤساؤهم الذين أوقعوهم في هذه الضلالة<sup>4</sup>، قال تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: 77).

<sup>1</sup> انظر: الزمخشري: الكشاف، 593/1.

<sup>2</sup> انظر: الرازي: مفاتيح الغيب، 273/11.

<sup>3</sup> الرازي: المصدر السابق، 272/11.

<sup>4</sup> انظر: ابن الجوزي: زاد المسير، 573/1.

يتضح مما سبق وصف الله للنصارى بالغلو في الدين، الذي منه الغلو في عيسى عليه السلام، وقد جاء ذلك رداً منهم على ما نعت به عيسى بأنه ابن زنا، فساروا لدفع ذلك عنه في طريق وعر نتج عنه جعل بشري الهاً.

## الفصل الرابع

### كيفية التعامل مع النصارى بناء على معرفة أخلاقهم

#### المبحث الأول: كيفية التعامل مع النصارى المسالمين والمحاربين

شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل الناس شعوباً وقبائل، وأن يجعل فيهم النقي والشقي والصالح وغير الصالح حتى تكتمل أركان الحياة وتستقيم، ويتحقق قول الله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: 251)، ولذلك كان حال النصارى بين مسالم ومحارب، ولكل أحكام أصلها القرآن الكريم وفصلها علماء الإسلام عبر فقه المعاملات الذي لا يكون بين المسلم وأخيه المسلم فحسب ولكن يكون بين المسلم وغير المسلم، وبمنظرة فاحصة إلى التاريخ الإسلامي العريق نرى شواهد وأثار بينت عدل الإسلام وسماحته في التعامل مع الأمم المختلفة.

#### المطلب الأول: كيفية التعامل مع النصارى المسالمين

حث الإسلام على حسن معاملة الناس من غير المسلمين عموماً، والنصارى خصوصاً، خاصة إذا كانوا مسالمين لنا، ولا يبارزون المسلمين العداء والحرب، وبين الإسلام أن معاملتهم إنما تكون بالعدل، والإحسان إليهم، وعدم الإساءة لهم<sup>1</sup>، فقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8)، فالآية لم ترغّب في العدل والإقساط فحسب إلى غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم -أي أولئك الذين لا حرب ولا عداوة بينهم وبين المسلمين- بل رغبت الآية في برهم والإحسان إليهم، والبر كلمة

<sup>1</sup> انظر: الأسود، موسى: مقالة بعنوان: تهنئة غير المسلمين بأعيادهم، (موقع القيس، <https://www.alqabas.com>).

جامعة لمعاني الخير والتوسع فيه، فهو أمر فوق العدل، وهي الكلمة التي يعبر بها المسلمون عن أوجب الحقوق البشرية عليهم<sup>1</sup>.

وقد فهم المسلمون الأوائل هذا المعنى فقد حدث الدارقطني عن القاضي إسماعيل بن إسحاق فقال: دخل عليه الوزير عبدون بن صاعد النصراني وكان وزير الخليفة المعتضد بالله العباسي، فقام له القاضي ورحب به، فرأى إنكار الشهود لذلك، فلما خرج الوزير قال القاضي إسماعيل: قد علمت إنكاركم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>(8)</sup> (المتحنة: 8)، وهذا الرجل يقضي حوائج المسلمين وهو سفير بيننا وبين المعتضد، وهذا من

البر<sup>2</sup>.

وقد قسم علماء المسلمين النصارى المسالمين إلى ثلاثة أقسام هي:

1- الذمي، وهو النصراني المقيم تحت ذمة المسلمين بدفع الجزية؛ قال ابن القيم: "أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس"<sup>3</sup>، فيخضع لأحكام الإسلام في غير ما أُفِّرَ عليه من أحكام العقائد والعبادات، والزواج والطلاق، والمطعومات والملبوسات، وله على المسلمين الكفُّ عنه وحمایته، قال ابن الأثير: "وسُموا أهل الذمة؛ لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم"<sup>4</sup>.

2- المعاهد، وهو الكافر الذي بينه وبين المسلمين عهد مهادنة<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup> انظر: أرشيف ملتقى أهل التفسير، (2010م)، 11/ 6484. الترقيم حسب الشاملة.  
<sup>2</sup> انظر: المسلمي، محمد مهدي وآخرون: موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلمه، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 2001 م)، 1/ 123.  
<sup>3</sup> ابن قيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت 751هـ: أحكام أهل الذمة، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 2002م)، 2/ 3.  
<sup>4</sup> ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، 2/ 168.  
<sup>5</sup> انظر: ابن بطلال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الركي، ت 633هـ: النظم المستعذب في تفسير غريب الألفاظ المهذب، تحقيق: مصطفى عبد الحفيظ سالم، (مكة المكرمة، المكتبة التجارية، 1988م)، 1/ 156-157.

3- المستأمن: "هو الحربي المقيم إقامة مؤقتة في ديار المسلمين"<sup>1</sup>، قال الشيخ محمد بن عثيمين عندما سئل: "البعث يتأول في مسألة أهل الذمة بدعوى عدم وجود ولي الأمر العام أو الخلافة، أو لعدم وجود أهل الذمة أصلاً بدعوى عديدة ولذلك لا يجدون غضاضة في دعوة الناس للاعتداء على غير المسلمين من المعاهدين؟ فأجاب بقوله: أنا أوافق على أنه ليس عندنا أهل ذمة؛ لأن أهل الذمة هم الذين يخضعون لأحكام الإسلام، ويؤدون الجزية، وهذا مفقود منذ زمن طويل، لكن لدينا معاهدون ومستأمنون ومعاهدون معاهدة عامة، ومعاهدة خاصة، فمن قدم إلى بلادنا من الكفار لعملٍ أو تجارة وسمح له بذلك فهو: إما معاهد أو مستأمن فلا يجوز الاعتداء عليه، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ"<sup>2</sup>. فنحن مسلمون مستسلمون لأمر الله تعالى محترمون لما اقتضى الإسلام احترامه من أهل العهد والأمان، فمن أخلَّ بذلك فقد أساء للإسلام وأظهره للناس بمظهر الإرهاب والغدر والخيانة، ومن التزم أحكام الإسلام واحترم العهود والمواثيق، فهذا هو الذي يرجى خيره وفلاحه"<sup>3</sup>.

وسطر الإسلام معاملة قائمة بالقسط والعدل بين المسلمين والنصارى المقيمين في أرضه، فقد ألزمهم بأحكامه التي تطبق على المسلمين؛ لأنهم بمقتضى الذمة أصبحوا يحملون جنسية الدولة الإسلامية، فعليهم أن يتقيدوا بقوانينها التي لا تمس عقائدهم وحرمتهم الدينية، وليس عليهم أي تكليف من التكاليف التعبدية للمسلمين، مثل: الزكاة التي هي ضريبة وعبادة في الوقت نفسه، ومثل: الجهاد الذي هو خدمة عسكرية وفريضة إسلامية، ومن أجل ذلك فرض الإسلام عليهم الجزية بدلاً من الجهاد والزكاة، وليس عليهم في أحوالهم الشخصية والاجتماعية أن يتنازلوا عما أحله لهم دينهم، وإن كان قد حرمه الإسلام، كما في الزواج والطلاق وأكل الخنزير وشرب الخمر، فالإسلام يقرهم على ما يعتقدون حله، ولا يتعرض لهم في ذلك بإبطال ولا عتاب، فالنصارى الذين يأكلون الخنزير ويشربون الخمر، لا يتدخل الإسلام في شؤونهم هذه ما داموا يعتقدون

<sup>1</sup> الشهود، علي بن نايف: الخلاصة في أحكام أهل الذمة، 190/1.

<sup>2</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، حديث رقم 2995، 1155/3.

<sup>3</sup> ابن عثيمين، محمد بن صالح، ت 1421هـ: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، (دار الوطن، الطبعة: الأخيرة، 1992م)، 492/25-493.

حلها، فقد أمر المسلمون أن يتركوهم وما يدينون، وإذا تحاكموا إلى شرع المسلمين في هذه الأمور حكمنا بينهم بحكم الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (المائدة: 49)<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: كيفية التعامل مع النصارى المحاربين

عرف الشوكاني النصارى المحاربين بقوله: "الحربي: الذي لا ذمة له ولا عهد"<sup>2</sup>، وعرفهم الشحود فقال: "هم النصارى الذين امتنعوا عن قبول دعوة الإسلام، ولم يعقد لهم عقد ذمة ولا أمان، ويقطنون في دار الحرب التي لا يطبق فيها أحكام الإسلام، فهم أعداء المسلمين"<sup>3</sup>، والمحارب لا يُبدؤ بحرب، ولكن يرد عليه إن حاربنا، وحره ضرورة تقدر بقدرها<sup>4</sup>، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: 190)، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 193).

وتحرم مودة المحاربين من النصارى أو موالاتهم ضد المسلمين لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ (المتحنة: 1)، وقوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: 28)، وقيل لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: إن هنا غلاماً من أهل الحيرة حافظاً كاتباً، فلو اتخذته كاتباً؟ قال: اتخذت إذن بطانة من

<sup>1</sup> انظر: الشحود: الخلاصة في أحكام أهل الذمة، 69/3.

<sup>2</sup> الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت 250هـ: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1984م)، 441/4.

<sup>3</sup> الشحود: الخلاصة في أحكام أهل الذمة، 196/1.

<sup>4</sup> انظر: الشحود: المصدر السابق، 467/2.

دون المؤمنين<sup>1</sup>، فلا يستعمل النصارى بما فيه استتالة على المسلمين، وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب<sup>2</sup>.

وقد شهد التاريخ على الجرائم الشنيعة والعظائم الفظيعة التي ارتكبتها النصارى في حق مسلمي الأندلس، وأجبروهم على التنصر، وحولوا مساجدهم إلى كنائس، وأتلفوا كتبهم ومصاحفهم، واعتبروا أطفالهم نصارى، فعمدوهم بالقوة، ومحووا شعائرهم وشعاراتهم، ومنعوا تقاليدهم وعاداتهم، ونكثوا العهود والمواثيق التي أخذت منهم أن لا يتعرضوا للمسلمين، فقتلوا وعذبوا، ونكلوا وشردوا... ويشير الباحث إلى الحروب الصليبية الكبرى التي شنّها النصارى على الشرق الإسلامي طيلة قرنين من الزمان، ويسمونها (الحرب من أجل تحرير القبر المقدس)، وكم ارتكبوا فيها من مذابح بقيت شامة عار في جباههم، ففي الحملة الأولى أبادوا أهل أنطاكية وذبحوا في القدس أكثر من سبعين ألفاً من المسلمين، وخرّبوا حمص وبعلبك وحماة وعسقلان وقنسرين وطبرية وغيرها من البلاد، وهجروا أهلها منها، وفعلوا الأفاعيل العظيمة التي استحي حكماؤهم ومؤرخوهم منها، ثم بعد ذلك سعوا جاهدين لتغطية حقيقة دين الإسلام، وأظهروه في مظهر الإرهاب والتسلطّ والمتعشّش للدماء، حتّى يزرعوا الرعب منه في قلوب الشعوب، وبالتالي تبقى هذه الأخيرة بعيدة عنه، وإلاّ فليس هناك أيّ تفسير آخر لكلّ هذه الحملات المغرضة والدعوات العنصريّة التي تُحاك ضدّ هذا الدين، وصدق القرآن حين قال: ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْنُمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 30)<sup>3</sup>.

يلاحظ تفريق العلماء بين النصراني المسالم والمحارب في بعض أحكام المعاملات، فمن ذلك أنهم منعوا الزواج من الحربية، قال ابن عباس: من نساء أهل الكتاب من يحلّ لنا، ومنهم من لا يحلّ لنا، ثم قرأ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا

<sup>1</sup> انظر: ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، 743/3.

<sup>2</sup> انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 107/2.

<sup>3</sup> انظر: الشهود، علي بن نايف: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، 168/22.

يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ۖ ﴿٢٩﴾ (التوبة: 29)<sup>[1]</sup>، والزواج

يوجب المودة لقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ﴾ (الروم: 21)، فينبغي أن يكون نكاح الحربيّات محظورا؛ لقوله تعالى: ﴿يُؤَادُونَ

مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ﴾ (المجادلة: 22) فإنما يقع على أهل الحرب؛ لأنهم في حد غير حدنا<sup>2</sup>.

---

[1] الطبري: جامع البيان، 588/9.

[2] انظر: الجصاص: أحكام القرآن، 326/3.

## المبحث الثاني: مجالات التعامل مع النصارى

الإسلام هو الدين الوحيد "الذي نظر إلى الإنسان بعيداً عن التحيز العرقي أو القومي، فخطابه موجّه لكلّ الناس بدعوتهم إلى الإيمان، وإلى العدل والمساواة، دعوة تتلخّص مبادئها في كونه كتاب هداية ورحمة، وقد تجسّدت نظريته في حسن التعامل مع غير المسلمين في سلوك الذين آمنوا به واعتقدوه ديناً ومنهجاً، وهو السلوك الذي أذعن له المؤرّخون، واعترفوا به في كتاباتهم"<sup>1</sup>، فهذا البطريرك عيثويابه يقول: "إنّ العرب الذين أعطاهم الإسلام القدرة على التسلّط على كلّ العالم كانوا يتعاملون معنا من منطلق أنّهم لا يرون أنفسهم قاهرين، أو أعداءً للمسيحيين، فقد كانوا يحترمون ديننا، وكان سلوكهم وأخلاقهم كلّها لطفاً ورحمة مع كلّ مكوثات ديننا، بدءاً بالقساوسة والرهبان، ومدّوا يد العون لكلّ الكنائس والأديار" فكثرة الشواهد التاريخية واختلافها باختلاف ظروف الحرب والسلم وتنوّع الأزمنة والأمكنة توضّح مكنون المعاملة التي يسعى لها الإسلام مع الأديان الأخرى عموماً، والنصرانية خصوصاً"<sup>2</sup>.

### المطلب الأول: التعامل مع النصارى على أساس حسن العلاقة والسلوك

يقوم الإسلام في تعامله مع الغير على البر، والعدل، والرحمة، والسماحة، وحفظ الحقوق، فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالبرّ مع غير المسلمين والإحسان إليهم: ﴿لَا يَنْهَىكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكَ فِي الدِّينِ وَلَا يَخْرُجُوكَ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: 8)، وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية<sup>3</sup>، فقد أوجب على أتباعه البرّ مع الأبوين، والإحسان إليهما، والتعامل معهما بالحسنى ولو كانا مشركين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا

<sup>1</sup> همايادي، جلال وهابي: مقالة بعنوان: قواعد التعامل مع أهل الكتاب، ترجمة: نظيرة غلاب (موقع نصوص معاصرة،

<http://nosos.net/>).

<sup>2</sup> تروتون، آرثر ستانلي: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة: حسن حبشي، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1956م)، 158.

<sup>3</sup> انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، 3544/6.

أَفِي وَلَا تَهَرُّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ (الإسراء: 23)، وأمر الإسلام المسلمين أن يؤتوا ذوي القربى والمساكين وأبناء السبيل حقوقهم ولو كانوا غير مسلمين: ﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ (الإسراء: 26)، فهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، تقول: "قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ فُرَيْشٍ، إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُدَّتْهُمْ مَعِ أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وهي رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قال: نَعَمْ صِلِهَا"<sup>1</sup>.

وقد أوصى رسول الله ﷺ أصحابه بالقبض خيراً؛ حفاظاً على ذمتهم ورحمهم، فقال: "ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً؛ فإن لهم ذمة ورحماً"<sup>2</sup>، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية، "حينما تغلب التتار على الشام، ذهب ليُكَلِّمَ "قطلو شاه" في إطلاق الأُسرى، فسمح القائد التتري للشيخ بإطلاق أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له بإطلاق أهل الذمة، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن قال: لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيراً، لا من أهل الذمة، ولا من أهل الملة، فلما رأى إصراره وتشدده، أطلقهم له"<sup>3</sup>.

ودعا الإسلام المسلمين إلى علاقة قائمة على البر والإحسان مع النصارى، وأورد في طياته مجموعة من الأحكام المؤدية إلى تحقيق هذا الغاية منها: أنه أباح الأكل من طعامهم إذا اجتنب الخمر والخنزير... كما ويجوز لهم الأكل من طعام المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْ لَّهُمْ﴾ (المائدة: 5)، وأجاز قبول الهدايا منهم، فقد قبل النبي ﷺ الهدايا من غير المسلمين، كما في قبوله هدية المقوقس عظيم مصر<sup>4</sup>، وأجاز للمسلم الزواج من الكتابية العفيفة لقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ

<sup>1</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر، حديث رقم 3012، 1162/3.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر، حديث رقم 2543، 1970/4.

<sup>3</sup> القرضاوي، يوسف عبدالله: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط3، 1992م)، ص: 10.

<sup>4</sup> انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، ت 774هـ: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، ط1 1988م)، 215/6.

أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿٥٥﴾ (المائدة: 5)، وأمر المسلمين بالإحسان إليهم إذا تجاوزوا لقوله تعالى:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴿٣٦﴾ (النساء: 36) ف"الجار الجنب" هو اليهودي أو النصراني<sup>1</sup>، وغير

ذلك من التعاملات التي أرشد لها الإسلام.

وقد نهى الإسلام عن جملة من السلوكيات في محاولته لبيان الفرق بين ما عند النصارى من الباطل وما

لدى المسلمين من الحق، فنهى عن بدئهم بالسلام؛ لأنه تحية أهل الجنة، قال ﷺ: "لَا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَلَا

النَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاصْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ"<sup>2</sup>، فتكون تحيتهم بغير ذلك كصباح

الخير مثلاً، كما وتحذر المسلمة من كشف محاسنها أمام نساء النصارى صاحبات الخلق الذميمة؛ لأنهن لا

يؤمنن على ذلك، وقد يصفن المسلمة لإخوانهن أو أصدقائهن، فقلوبهم لم تستضيئ بنور الإيمان الرادع عن

ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ

زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ ﴿٣٦﴾ (النور: 31)، فالمقصود ب"نسائهن" في الآية المسلمات، ويخرج

من ذلك نساء النصارى وغيرهم<sup>3</sup>، كما ونهى الإسلام عن التشبه بالنصارى في ألبستهم المميزة، فلما رأى ﷺ

على عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ثوبين مُعَصْفَرَيْنِ قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا

تَلْبَسْنَهَا"<sup>4</sup>، ولقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿١٢٠﴾﴾ (البقرة: 120)، وغير

ذلك من السلوكيات التي أمر الإسلام باجتنابها أثناء تعامل المسلمين مع النصارى.

<sup>1</sup> انظر: الطبري: جامع البيان، 8/339.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث رقم 2167، 4/1707.

<sup>3</sup> انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، ت 671هـ: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: (أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1964م)، 12/233.

<sup>4</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، حديث رقم 2077، 3/1647.

يتضح مما سبق أن الإسلام سعى منذ بدايته إلى تكوين علاقة مع النصارى على البر والقسط، وشرع من الأحكام ما يحقق ذلك، ففهم أبنائه هذا المعنى وتركوا للمسلمين نماذج مشرفة كانت سبباً في إسلام كثير من النصارى، فيقول الشاعر الأمريكي رونالد ركويل عن نفسه بعد أن أشهر إسلامه: "لقد راعني حقاً تلك السماحة التي يُعامل بها الإسلام مخالفيه؛ سماحة في السلم، وسماحة في الحرب، والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كلِّ وصاياه"<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: التعامل مع النصارى في مجال المال

لقد حذر النبي ﷺ المسلمين من التعدي على النصارى في المال أو النفس أو العرض، بقوله: "ألا من ظلم مُعاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيبِ نفسٍ فأنا حَجِيبُهُ يوم القيامة"<sup>2</sup>، فعندما اشكت امرأة مسيحية من مصر على عمرو بن العاص للخليفة عُمر بن الخطاب، أنه أدخل جزءاً من بناء المسجد في بيتها، وقد عرض عليها عمرو شراء بيتها بضعف الثمن، لكنّها رفضت، فما كان من عمر إلا أن قام بهدم البناء الجديد للمسجد، وإعادة بيتها كاملاً إليها<sup>3</sup>، ويشهد لذلك أيضاً ما قام به أبو عبيدة بعد فتح الجيش الإسلامي للشام والعراق وحمص، فقد سمع بتجهيز الروم لجيش كبير بقيادة هرقل لقتال المسلمين، فأعاد الجزية إلى أهل حمص ودمشق، وقال لهم: "إننا لا نستطيع أن نحملك وأن ندافع عنكم، وهذه جزيتكم التي دفعتموها لنا في مقابل حمايتكم"، فأجابوه: "والله لعدلكم أحبُّ إلينا من جور الروم وظلمهم"، مع أنهم كانوا على نفس دينهم<sup>4</sup>.

وقد بلغت رعاية الإسلام لحُرمة أموال النصارى وممتلكاتهم أنه يحترم ما يُعدونه -حسب دينهم- مالاً، وإن لم يكن مالاً في نظر المسلمين، فالخمر والخنزير لا يُعدان عند المسلمين مالاً متقوماً، ولا يجوز للمسلم أن

<sup>1</sup> الذهبي، إدار غالي: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، (مكتبة غريب، ط1، 1993م)، ص: 49.

<sup>2</sup> أبو داود: سنن أبي داود، أول كتاب الخراج والفيء، باب في الذمي يسلم في بعض السنة، أعليه جزية، رقم الحديث: 3052، 658/4، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

<sup>3</sup> انظر: السباعي، مصطفى بن حسني، ت 1384هـ: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، (بيروت، دار الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 1999م)، ص: 135.

<sup>4</sup> انظر: السباعي: المصدر السابق، ص: 163.

يَمْتَكِ هَٰذِينَ الشَّيْئِينَ لَا لِنَفْسِهِ وَلَا لِبَيْعِهِمَا لِلْغَيْرِ، أَمَّا الْخَمْرُ وَالْخَنْزِيرُ إِذَا مَلَكَهُمَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ، فَهَمَا مَا لَا عِنْدَهُ، بَلْ مِنْ أَنْفُسِ الْأَمْوَالِ، كَمَا قَالَ فَقَهَاءُ الْحَنْفِيَّةِ، فَمَنْ أَتْلَفَهُمَا عَلَى الذَّمِّ غَرِمَ قِيَمَتَهُمَا<sup>1</sup>، وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ فَقَدَ أَمْرَ أَبْنَاءِهِ بِمُسَاعَدَتِهِمْ بِالصَّدَقَةِ فِي حَالِ حَاجَتِهِمْ لَهَا، فَهَذَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَكْتُبُ إِلَى أَحَدِ وُلَاتِهِ وَهُوَ عَدِيٌّ بْنُ أَرْطَأَةَ بِمُسَاعَدَةِ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَسْبِ<sup>2</sup>، وَوَرَدَ فِي كِتَابِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى أَهْلِ الْحِيرَةِ "أَيُّمَا شَيْخٍ ضَعْفَ عَنِ الْعَمَلِ، أَوْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ مِنَ الْآفَاتِ، أَوْ كَانَ غَنِيًّا فَافْتَقَرَ وَصَارَ أَهْلَ دِينِهِ يَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ طَرَحَتْ جَزِيَّتَهُ، وَعِيلَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ"<sup>3</sup>.

وَقَدْ بَيَّنَّ الْفُقَهَاءُ حَالَ الْمَعَامَلَاتِ الْمَالِيَّةِ وَالْمَدْنِيَّةِ لِلنَّصَارِيِّ، مِنَ الْبَيْعِ، وَالْإِيجَارَاتِ وَالشَّرَكَاتِ، وَالرَّهْنِ وَالْحَوَالَةِ، وَالْكَفَالَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُقُودِ وَالتَّصَرُّفَاتِ، الَّتِي يَتَبَادَلُ النَّاسُ بِوَسْطَتِهَا الْأَمْوَالِ وَالْمَنَافِعَ، وَتَنْتَظِمُ بِهَا شُئُونَ الْمَعَاشِ، فَكُلُّ مَا جَازَ مِنْ بَيْعِ الْمُسْلِمِينَ وَعُقُودِهِمْ، جَازَ مِنْ بَيْعِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَعُقُودِهِمْ، وَمَا يَفْسِدُ مِنْهَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ يَفْسِدُ عِنْدَ الذَّمِّيِّينَ، إِلَّا الْخَمْرُ وَالْخَنْزِيرُ عِنْدَ النَّصَارِيِّ، فَقَدْ اسْتَثْنَاهُمَا كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، لِاعْتِقَادِهِمْ حِلَّهُمَا فِي دِينِهِمْ، عَلَى الْأَلَا يَجَاهَرُونَ بِهِمَا، أَمَّا الرِّبَا فَهُوَ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ فَلَا يَقْرُونَ عَلَيْهِ<sup>4</sup>، فَأَيَّاتِ الرِّبَا عَامَةٌ لِكُلِّ الْمَجْتَمَعَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: 275)، وَقَدْ خُيِّرَ الْقَاضِي الْمُسْلِمُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّصَارِيِّ إِذَا عَرَضُوا عَلَيْهِ اخْتِلَافَاتِهِمْ وَاحْتَكَمُوا إِلَيْهِ بَيْنَ الْقَبُولِ وَالرَّفْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ جَاءَوكَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (المائدة: 42)، إِلَّا أَنَّ هَذَا التَّخْيِيرَ فِي حَالَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنِ النَّصَارِيُّ الْمُتَنَازِعِينَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، أَمَّا إِذَا كَانُوا كَذَلِكَ، وَيَعِيشُونَ تَحْتَ مِظَلَّةِ الْحُكُومَةِ الْمُسْلِمَةِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ أَوْجِبَ عَلَى الْقَاضِي الْمُسْلِمِ الْفَصْلَ فِي خِلَافَاتِهِمْ وَالْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ، وَيَكُونُ الْقَضَاءُ وَالْفَصْلَ بَيْنَهُمْ طَبَقَ قَوَانِينِ وَأَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَلَيْسَ طَبَقَ قَوَانِينِ كِتَابِهِمْ: ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (المائدة: 48)،

<sup>1</sup> انظر: القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص: 15.

<sup>2</sup> انظر: اللحيان عبد الله بن إبراهيم: سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، (السعودية، وزارة الأوقاف السعودية) ص: 24-27.

<sup>3</sup> أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حنيفة الأنصاري، ت 182هـ: الخراج، تحقيق: (طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد)، (المكتبة الأزهرية للتراث)، ص: 157-158.

<sup>4</sup> انظر: القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص: 45.

فمن سرق من أهل الذمة أقيم عليه حد السرقة، كما يقام على المسلم، ومن قتل نفساً، أو تعدى على مال، أو زنى بامرأة، أو غير ذلك من الجرائم أخذ بها، وعوقب بما يعاقب به المسلم؛ لأن هذه الأمور محرمة في ديننا، وقد التزموا حكم الإسلام في ما لا يخالف دينهم<sup>1</sup>.

يتضح مما سبق أن الإسلام قد حفظ للنصارى حقوقهم المالية في أجل صورة وأوضحها، فهو الدين الذي يدعو إلى العدل والتسامح، ويحرم الظلم والاعتداء، ويوضح طبيعة وأحكام ما يكون من معاملات مالية بين أبنائه وأبناء الأديان الأخرى.

### المطلب الثالث: التعامل مع النصارى في مجال العبادة

لقد كفل الإسلام للنصارى في المجتمع الإسلامي حرية العبادة، وأتاح لهم حماية معابدهم وكنائسهم، فقد جعل هذا من أسباب الإذن للمسلمين في القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾<sup>(٣٩)</sup> الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(الحج: 39-40)</sup>، فيترك الإسلام للنصارى حرية ممارسة العبادات التي تتفق مع عقيدتهم، ويحرم على المسلمين الاعتداء على بيوت العبادة أو هدمها أو تخريبها، أو الاعتداء على القائمين فيها، سواء في حالتي السلم والحرب، والوثائق التاريخية كثيرة في وصية الخلفاء لقادة الجيوش، وفي المعاهدات التي أبرمت في التاريخ الإسلامي، وعند الفتوحات، ومنها الوثيقة العمرية مع أهل بيت المقدس، والدليل المادي الملموس شاهد على ذلك ببقاء أماكن العبادة التاريخية القديمة النصارى وغيرهم في معظم ديار الإسلام والمسلمين<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> انظر: القرضاوي: المصدر السابق، ص: 44-45.

<sup>2</sup> انظر: الريسوني، أحمد، وآخرون: حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة، ص: 63.

"ومن شواهد التاريخ في هذا أنه لما توسَّعت رُقعة الدولة الإسلامية زمن النبي ﷺ، كان هناك مجموعة كبيرة من القبائل المسيحية العربية، وبخاصة في نجران، فما كان منه ﷺ إلا أن أقام معهم المعاهدات التي تتَّسم باللين والرِّفق والتسامح حيث تَوَمَّن لهم حرية المُعتَقَد، وممارسة الشعائر، وصون أماكن العبادة"<sup>1</sup>، فقد ورد في معاهدته ﷺ لأهل نجران قوله: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم ومِلَّتْهم وأرضهم وأموالهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وبيعهم وصلواتهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وألا يغيروا مما كانوا عليه بغير حق من حقوقهم ولا مِلَّتْهم، ولا يُغَيَّر أسقف عن أسقفِيته، ولا راهب من رهبانيته"<sup>2</sup>.

ومن حسن التعامل مع النصارى ما رُوِيَ عن ابن عباس أنه سأل عن مسلم لم يتبع جنازة والده النصراني، فقال: "كان ينبغي له أن يتبعه، ويدفنه"<sup>3</sup>، فإذا لم يكن للوالد الكافر ابن كافر يقوم بدفنه، فإنه ينبغي للابن المسلم أن يقوم بذلك ولا يتركه جزراً للسباع، فقد أمره الإسلام بالإحسان إلى والديه، وإن كانا مشركين، ومصاحبتهما بالمعروف<sup>4</sup> لقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۝١٥﴾ (لقمان: 15)، وللمسلم أن يعزي النصارى في بيوتهم الخاصة، ويكون ذلك من الإحسان إليهم، ولكن لا يدخل عليهم كنائسهم لتعزيتهم؛ فالأصل فيه المنع، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فإن السخطة تنزل عليهم"<sup>5</sup>.

---

<sup>1</sup> الندوي، محمد إقبال الناطي: مقالة بعنوان: التعامل مع غير المسلمين في الإسلام، (موقع الألوكة، <https://www.alukah.net/>).

<sup>2</sup> الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، ت 942هـ: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: (عادل عبد الموجود، علي معوض)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م)، 420/6.

<sup>3</sup> ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسني العيسي، ت 235هـ: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1989م)، كتاب الجنائز، باب في الرجل يموت له القرابة المشرك يحضره أم لا؟، حديث رقم 11847، 33/3.

<sup>4</sup> انظر: السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، ت 483هـ: شرح السير الكبير، (الشركة الشرقية للإعلانات، 1971)، ص: 153.

<sup>5</sup> ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، ت 774هـ: مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تحقيق: عبد المعطي قلجعي، (المنصورة، دار الوفاء، ط1، 1991م)، 494/2.

ودرجة وسطى في حسن التعامل مع النصراني أن تدع له حق الاعتقاد بما يراه من ديانة ومذهب ثم لا تضيق عليه بترك أمر يعتقد وجوبه أو فعل أمر يعتقد حرمة، فإذا كان النصراني يعتقد بوجوب الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد فلا يجوز أن يمنع من ذلك في هذا اليوم لأنه لا يترك ذلك إلا وهو يشعر بمخالفة دينه<sup>1</sup>. يتضح مما سبق أن الإسلام قد احترم عبادة النصارى، فلم يتعرض لأماكن عبادتهم، ولم يضيق عليهم في شعائرها، وهو الذي لفت الانتباه لأثر العبادة في صنع المودة لقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: 82) وإنما أراد تنبيه المسلمين من الانخراط فيها.

#### المطلب الرابع: التعامل مع النصارى في مجال الاعتقاد

تاريخ الإسلام الطويل شاهد على أن الإسلام وأهله قد كفلوا لأتباع الأديان الذين يعيشون في ظله البقاء على عقائدهم ودياناتهم، ولم يُرغم أحداً منهم على اعتناقه، ومعلوم لدى القاضي والداني أن هذا لم يكن موقف ضعف من دولة الإسلام، بل كان هذا هو مبدؤها، حتى حين كانت في أوج قوتها أمة فنيّة قادرة، ولو أرادت أن تفرض على الأفراد عقيدتها بالقوة القاهرة، لكان ذلك في مقدورها، لكنها لم تفعل<sup>2</sup>، "وهناك شهادات من العلماء غير المسلمين ممن يوثق بهم أن الإسلام ترك لغير المسلمين حرية المعتقد"<sup>3</sup>، تقول المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري في كتابها "دفاع عن الإسلام": "كان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يُحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد"<sup>4</sup>، فيتضح أن الإسلام قد كفل لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي حرية المعتقد، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256).

<sup>1</sup> انظر: الفرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص: 47.

<sup>2</sup> انظر: ابن حميد، صالح بن عبد الله: تلبيس مردود في قضايا حية، (السعودية، وزارة الأوقاف)، ص: 32.

<sup>3</sup> الندوي: مقالة بعنوان: التعامل مع غير المسلمين في الإسلام، (موقع الألوكة، <https://www.alukah.net/>).

<sup>4</sup> فاغليري، لورا فيشيا، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1981م)، ص: 35.

لقد نظر الإسلام إلى النصارى "من زاويتين: الأولى: كونهم أتباع كتاب سماويّ، فهم يشتركون والمسلمين في هذا الوصف، ومن زاوية أخرى هم يشتركون مع المشركين في قولهم بالشريك في الألوهية، لذا فقد خصّ أهل الكتاب بأحكام تراعي نقطة الاشتراك، وتأخذ بعين الاعتبار نقطة الانفصال، لذا فقد فصلهم القرآن عن المشركين بقوله: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة: 105)<sup>1</sup>، وقد جعل الإسلام من دعوة النصارى إلى الله أعظم إحسان قد يهديه المسلم لمن اجتمع بهم من النصارى، لقول النبي ﷺ: "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ"<sup>2</sup>، ودعا إلى محاورتهم ومجادلتهم بأفضل أسلوب وأحسن طريقة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: 46).

وقد حذر الإسلام من كل تعامل مع النصارى إذا أفضى إلى عقيدتهم الفاسدة ودينهم الباطل ومن ذلك: أن يهنئ المسلم النصارى على أعيادهم الدينية، قال ابن القيم: "وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به، فحرام بالاتفاق؛ مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر، فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يُهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشدُّ مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام، ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك، وهو لا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر، فقد تعرض لمقت الله وسخطه"<sup>3</sup>، ولقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: 72)، أما تهنئتهم بالأفراح أو النجاح، فلم يرد بها نهى وتكون من باب الإحسان لهم.

<sup>1</sup> همامادي: مقالة بعنوان: قواعد التعامل مع أهل الكتاب، (موقع نصوص معاصرة، <http://nosos.net>).

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، حديث رقم 1893، 1506/3.

<sup>3</sup> ابن قيم: أحكام أهل النمة، 211/3.

"فإن قال قائل: إن أهل الكتاب يهنتوننا بأعيادنا فكيف لا نهنتوهم بأعيادهم معاملة بالمثل ورداً للتحية وإظهاراً  
لسماحة الإسلام... إلخ؟ فإجابة ذلك أن يقال له: إن هنتونا بأعيادنا فلا يجوز أن نهنتهم بأعيادهم لوجود  
الفارق، فأعيادنا حق من ديننا الحق، بخلاف أعيادهم الباطلة التي هي من دينهم الباطل، فإن هنتونا على  
الحق فلن نهنتهم على الباطل، ثم إن أعيادهم لا تتفك عن المعصية والمنكر وأعظم ذلك تعظيمهم للصليب  
وإشراكهم بالله تعالى وهل هناك شرك أعظم من دعوتهم لعيسى عليه السلام بأنه إله أو ابن إله، تعالى الله  
عما يقولون علواً كبيراً، إضافة إلى ما يقع في احتفالاتهم بأعيادهم من هتك للأعراض واقتراف للفواحش  
وشرب للمسكرات ولهو ومجون، مما هو موجب لسخط الله ومقته، فهل يليق بالمسلم الموحد بالله رب العالمين  
أن يشارك أو يهنئ هؤلاء الضالين بهذه المناسبة!"<sup>1</sup>.

وقد حذر الإسلام المسلم أيضاً من الاستماع إلى شبهاتهم، أو مساعدتهم في حملاتهم التصيرية، أو بيع  
صلبانهم أو الترويج لها بوضعها على الملابس، وغير ذلك من الممارسات الموصلة إلى عقيدتهم الباطلة،  
قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ  
دِينِهِ فِيمْتَهُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ  
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ (البقرة: 217).

<sup>1</sup> الشهود: الخلاصة في أحكام أهل الذمة، 400/2.

## الخاتمة

تم بحمد الله وفضله الانتهاء من هذا البحث، وفيما يلي أبرز النتائج التي توصل اليها الباحث إليها:

- 1- أكد القرآن الكريم على أهمية الأخلاق التي تنظم السلوك الإنساني بين البشر سواء بين المسلمين أنفسهم أو بينهم وبين غيرهم من الملل والأمم.
- 2- الأخلاق من الألفاظ التي تحمل دلالات متعددة، مثل: التربية والصفات والآداب، وقد اقترنت هذه الدلالات بالنصارى إيجاباً أو سلباً.
- 3- جرت العادة إطلاق كلمة المسيحيين على اتباع سيدنا عيسى عليه السلام، غير أن القرآن الكريم استعمل لفظ النصارى، وتسمية المسيحيين جاءت من الذين كتبوا لاحقاً سواء من النصارى أو غيرهم.
- 4- أطلق القرآن الكريم ألفاظاً ذات دلالة على النصارى، مثل: أهل الكتاب وبنو إسرائيل.
- 5- حظيت الأخلاق عند النصارى بمكانة عظيمة، ويظهر ذلك عبر استقراء الكتب التي تحدثت عن الأخلاق عندهم.
- 6- حث الإنجيل أتباعه على الالتزام بالأخلاق الحميدة، ويظهر ذلك من قراءة متعمقة لتعاليمه.
- 7- أثنى القرآن الكريم على الأخلاق الحميدة للنصارى، مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمساعدة في الخيرات، والتواضع والخضوع، وغيرها من الاخلاق.
- 8- عاب القرآن الكريم على الأخلاق المذمومة عند النصارى، وخاصة سلوكهم مع الرب سبحانه وتعالى بالافتراء عليه والصد عن سبيله.
- 9- أدى سوء الأخلاق عند النصارى إلى نشوب الفتن والحروب مع العالم الإسلامي وزيادة الشرور والآثام وكثرة النزاعات.
- 10- تتنوع الاخلاق عند النصارى بين أخلاق تتعلق بالقلب والسلوك والفكر.
- 11- إن أكثر الاخلاق المحمودة عند النصارى كانت بفرحهم بالحق الذي نزل على الأمة الإسلامية، ويكأنهم عند نزول القرآن الكريم.

- 12- إن أكثر الأخلاق المذمومة عند النصارى كانت التعصب والغلو في الدين.
- 13- استغل النصارى حسن الخلق المتمثل في المسارعة في الخيرات لبناء الكنائس وتقديم الخدمات الصحية والرعاية الاجتماعية وتأسيس الجمعيات والأندية.
- 14- أصل علماء الإسلام فقه التعامل مع النصارى، وخاصة المتعلقة بالبيع والشراء والزواج والإجارة والشركات وغيرها.
- 15- نبع سوء الأخلاق عند النصارى من نظرتهم الضيقة للأعراق والجنسيات الأخرى النابعة من العنصرية والتحيز لبني إسرائيل عامة أو لأتباع عيسى عليه السلام خاصة.

### التوصيات

لقد خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات، ومنها: إجراء دراسة مقارنة بين تناول القرآن الكريم لأخلاق النصارى وبين تناول الكتاب المقدس ومعرفة جوانب الالتقاء والافتراق، وحاجة المكتبة العربية إلى تأصيل بحث يقيس حقيقة هذه الأخلاق عند النصارى المعاصرين، ومدى التزامهم بالأخلاق الحميدة وتجنب الأخلاق المذمومة.

## قائمة المصادر والمراجع

- [1] ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، ت 606هـ: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت، المكتبة العلمية، 1979م).
- [2] الأسود، موسى: **مقالة بعنوان: تهنئة غير المسلمين بأعيادهم**، (موقع القبس، [/https://www.alqabas.com](https://www.alqabas.com)).
- [3] الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ت 1999م: **السلسلة الصحيحة**، (مكتبة المعارف، ط1).
- [4] الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ت 1270هـ: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م).
- [5] أندريه لالاند: **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة أحمد خليل، (بيروت، منشورات عويدات، ط1، 1996م).
- [6] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، ت 256هـ: **صحيح البخاري**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1987م).
- [7] ابن بطلال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الركي، ت 633هـ: **النظم المستعذب في تفسير غريب الألفاظ المذهب**، تحقيق: مصطفى عبد الحفيظ سالم، (مكة المكرمة، المكتبة التجارية، 1988م).
- [8] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ت 510هـ: **معالم التنزيل في تفسير**، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، (دار طيبة، ط4، 1997م).
- [9] بورمانس، موريس: **توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين**، ترجمة: يوحنا منصور، (بيروت، المكتبة البولسية، ط1، 1986م).

[10] ترتون، آرثر ستانلي: **أهل الذمة في الإسلام**، ترجمة: حسن حبشي، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1956م).

[11] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، ت 279هـ: **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، (مصر، مصطفى البابلي الحلبي، ط2، 1975).

[12] التل، عبد الله: **جذور البلاء**، (بيروت، دار الإرشاد، ط1، 1971م).

[13] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، ت 728هـ: **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن الألمعي وآخرون، (الرياض، دار الفضيحة، ط1، 2004م).

[14] الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، ت 875هـ: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1998م).

[15] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت 427هـ: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م).

[16] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، ت 816هـ: **التعريفات**، تحقيق وضبط جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م).

[17] الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي، ت 370هـ: **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1985م).

[18] ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت 597هـ: **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2002م).

[19] ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، ت 327هـ: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1999م).

- [20] ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، ت 235هـ: **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1989م).
- [21] الحازمي، خالد بن حامد: **الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية**، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، 2004م).
- [22] الحايك، نزيه، وآخرون: **كتاب التربية المسيحية للصف الثالث حسب المنهاج الفلسطيني**، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م).
- [23] حجازين، إبراهيم، وآخرون: **كتاب التربية المسيحية للصف الرابع حسب المنهاج الفلسطيني**، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م).
- [24] ابن حميد، صالح بن عبد الله: **تلبيس مردود في قضايا حية**، (السعودية، وزارة الأوقاف).
- [25] حنا، عطا الله، وآخرون: **كتاب التربية المسيحية للصف العاشر حسب المنهاج الفلسطيني**، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م).
- [26] حنكة الميداني، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي، ت 1425هـ: **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، (دمشق، دار القلم، ط8، 2000م).
- [27] ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: 241هـ: **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م).
- [28] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت 745هـ: **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر، 2000م).
- [29] الخراز، خالد بن جمعة: **موسوعة الأخلاق**، (الكويت، مكتبة أهل الأثر، ط1، 2009م).
- [30] خزمو، ندى، وآخرون: **كتاب التربية المسيحية للصف السادس حسب المنهاج الفلسطيني**، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م).

- [31] الخلف، سعود بن عبد العزيز: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، (الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط4، 2004).
- [32] خوري، رفيق، وآخرون: كتاب التربية المسيحية للصف الثاني عشر حسب المنهاج الفلسطيني، (فلسطين، مركز المناهج، ط1، 2019م).
- [33] أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، ت 275هـ: سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، (دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م).
- [34] الدسوقي (تعاليم الرسل)، ترجمة: مرقس داود، (القاهرة، مكتبة المحبة، ط5، 1979م).
- [35] الذهبي، إدوار غالي: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، (مكتبة غريب، ط1، 1993م).
- [36] دُوزي، رينهارت بيتر، ت 1300هـ: تكملة المعاجم العربية، تعليق: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، (العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، 2000م).
- [37] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، ت 606: مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1999م).
- [38] أبو راس، هود قباص. وطرشاني، ياسر محمد: الغلو وأثره على السلام والتعايش العالميين، (ماليزيا، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد 31، يناير 2020م).
- [39] الريسوني، أحمد، وآخرون: حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة، ص: 63.
- [40] الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، ت 311هـ: معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1988م).
- [41] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ت 538هـ: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1987م).
- [42] ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري المالكي، ت 399هـ: تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة، الفاروق الحديثة، ط1، 2002م).

- [43] السباعي، مصطفى بن حسني، ت 1384هـ: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، (بيروت، دار الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 1999م).
- [44] السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، ت 483هـ: شرح السير الكبير، (الشركة الشرقية للإعلانات، 1971).
- [45] أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ت 982هـ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- [46] السقاف، علوي بن عبد القادر وآخرون: موسوعة الملل والأديان، (موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، 2012م).
- [47] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ت 373هـ: بحر العلوم.
- [48] السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي، ت 489هـ: تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (الرياض، دار الوطن، ط1، 1997م).
- [49] سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ت 1385هـ: في ظلال القرآن، (بيروت، دار الشروق، ط7، 1991م).
- [50] الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، ت 942هـ: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: (عادل عبد الموجود، علي معوض)، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م).
- [51] الشحود، علي بن نايف: الخلاصة في أحكام أهل الذمة.
- [52] الشحود، علي بن نايف: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة.
- [53] الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي، ت 977هـ: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، (القاهرة، مطبعة بولاق، 1868م).

- [54] الشعراوي، محمد متولي، ت 1418هـ: تفسير الشعراوي، (مطابع أخبار اليوم، 1997).
- [55] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ت 250هـ: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1984م).
- [56] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، ت 1250هـ: فتح القدير، (بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1994م).
- [57] دراز، محمد عبد الله، ت 1958م: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، (الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1980).
- [58] الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت 211هـ: تفسير عبد الرزاق، تحقيق: د. محمود محمد عبده، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م).
- [59] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، ت 360هـ: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة، دار الحرمين).
- [60] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، ت 310هـ: جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م).
- [61] الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، ت 460هـ: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (موقع الجامعة الإسلامية).
- [62] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، ت 1393هـ: التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية، 1984م).
- [63] عبد الباقي، محمد فؤاد، ت 1388هـ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1945م).
- [64] عبد الملك، بطرس وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، (دار الثقافة، ط10، 1984م).

[65] أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري، ت 209هـ: مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1962م).

[66] ابن عثيمين، محمد بن صالح، ت 1421هـ: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، (دار الوطن، الطبعة: الأخيرة، 1992م).

[67] أبو العزم، عبد الغني: معجم الغني، (موقع معاجم صخر، <https://lexicon.alsharekh.org>، 1/470).

[68] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، ت 542هـ: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م).

[69] العفاني، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله: وا محمداه إن شانئك هو الأبتى، (مصر دار العفاني، ط1، 2006م).

[70] عمر، أحمد مختار، ت 1424هـ: معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، ط1، 2008م).

[71] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، ت: 505هـ: إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة).

[72] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ت 395هـ: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1979م).

[73] فاغليري، لورا فيشيا، دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1981م).

[74] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، ت 207هـ: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، (مصر، دار الكتب المصرية، ط1).

[75] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، ت 170هـ: كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (دار الهلال).

[76] القرضاوي، يوسف عبد الله: **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط3، 1992م).

[77] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، ت 671هـ: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: (أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1964م).

[78] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ت 465هـ: **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3).

[79] قلنجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد: **معجم لغة الفقهاء**، (دار النفائس، 1988م).

[80] ابن قيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت 751هـ: **أحكام أهل الذمة**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 2002م).

[81] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، ت 774هـ: **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، ط1 1988م).

[82] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، ت 774هـ: **مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم**، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، (المنصورة، دار الوفاء، ط1، 1991م).

[83] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، ت 774هـ: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة، ط2، 1999م).

[84] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الحنفي، ت 1094هـ: **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة).

[85] اللحيان عبد الله بن إبراهيم: **سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين**، (السعودية، وزارة الأوقاف السعودية).

- [86] الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، ت 333هـ: تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005م).
- [87] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت 450هـ: النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- [88] مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، ت 104هـ: تفسير مجاهد، تحقيق: د محمد عبد السلام أبو النيل، (مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط1، 1989م).
- [89] مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، (القاهرة، 1983).
- [90] ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، ت: 421هـ: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، (مكتبة الثقافة الدينية، ط1).
- [91] مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت 261هـ: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث).
- [92] المسلمي، محمد مهدي وآخرون: موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلمه، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 2001م).
- [93] مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ت 150: تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م).
- [94] مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، ت 437هـ: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، (الشارقة، جامعة الشارقة، ط1، 2008م).
- [95] ملتقى أهل التفسير، (2010م). الترقيم حسب الشاملة.
- [96] المنجد، محمد: دروس الشيخ محمد المنجد، (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية).

- [97] ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن النيسابوري، ت 319هـ: كتاب تفسير القرآن، تحقيق: سعد بن محمد السعد، (المدينة النبوية، دار المآثر، ط1، 2002م).
- [98] منزريدي، جورج: الأخلاق المسيحية، ترجمة: ميشال نجم. منصور، أسماء: مقالة بعنوان: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحًا، (موقع مقال، [/https://mqaall.com](https://mqaall.com)).
- [99] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي، ت 711هـ: لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ط3، 1994م).
- [100] النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرة بن عوف بن سعد الغطفاني، ت 18ق.هـ: ديوان النابغة الذبياني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1996م).
- [101] النجار، عبد الوهاب: قصص الأنبياء، (بيروت، دار الجيل).
- [102] الندوي، محمد إقبال النائطي: مقالة بعنوان: التعامل مع غير المسلمين في الإسلام، (موقع الألوكة، [/https://www.alukah.net](https://www.alukah.net)).
- [103] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، ت 710هـ: تفسير النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، (بيروت، دار النفائس، 2005).
- [104] النيسابوري، أبو القاسم محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، ت 550هـ: إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995م).
- [105] همابادي، جلال وهابي: مقالة بعنوان: قواعد التعامل مع أهل الكتاب، ترجمة: نظيرة غلاب (موقع نصوص معاصرة، [/http://nosos.net](http://nosos.net)).
- [106] هندي، عادل: مقالة بعنوان: ماهية التربية الأخلاقية ودورها في تكريس القيم، (موقع الجمعية الشرعية الرئيسية، [/https://www.alshareyah.com](https://www.alshareyah.com)).
- [107] يالجن، مقداد: التربية الأخلاقية الإسلامية، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1977م).
- [108] أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري، ت 182هـ: الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، (المكتبة الأزهرية للتراث).



**An-Najah National University**  
**Faculty of Graduate Studies**

**THE MORALITY OF THE CHRISTIANS IN  
THE HOLY QURAN**

**By**  
**Mohammad Naser Shwaiki**

**Supervisors**  
**Prof. Odeh Abdullah**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree  
of Master of Fundamentals of Islamic Law, Faculty of Graduate Studies, An-  
Najah National University, Nablus- Palestine.**  
**2022**

# **THE MORALITY OF THE CHRISTIANS IN THE HOLY QURAN**

**By**  
**Mohammad Naser Shwaiki**  
**Supervisor**  
**Prof. Odeh Abdullah**

## **Abstract**

Morals are considered to be among the basis that were emphasized by Islam, and they are not limited to Muslims, but they include all mankind which is manifested in this study that touches upon Christians' morals both the good and the bad ones as appeared in the Holy Qur'an. The verses of the Holy Qur'an divided these morals into two major categories. In the one hand, some verses show commending good morals and permitting the Islamic nation to stick to them and emulate the previous ones who displayed by them and showing the reward of people who stick to them in this world and the hereafter. In the other hand, other verses show censuring those who are characterized by bad morals and forbidding the Islamic nation to have such morals and stating the punishment of people with do so in this world and the hereafter.

Considering the verses of the Holy Qur'an, the reader is able to see its' inclusiveness in terms of reviewing general morals that include those related to behavior, heart and mind. The Holy Qur'an doesn't only deal with the morals. Rather, it shows how Muslims must treat non-Muslims. History stands witness to the fact that Muslims are well-mannered when it comes to treating non-Muslims in general, and Christians in particular.

This study falls under the objective interpretation of the Holy Qur'an that include all the verses that belong to the same topic to have a reasoning induction and to show the Islamic rules that helps in building societies under sound basis away from Conflict, strife and separation. The study aimed to clarify the impact of Christians' morals and their reflection on their behavior, and the impact of those morals on the societies that surrounded them. Good morals were a reason for the progress and prosperity of society, and blameworthy morals were a reason for wars and various conflicts. To achieve the goal of the study, the researcher used the descriptive analytical approach.

The study came out with a series of results, including: the Holy Qur'an's praises the good morals of Christians, such as: advocating good and forbidding evil, hastening to good

deeds, humility, submission and other morals, and that the most blameworthy morals among Christians were fanaticism and religiosity.

The study also produced a set of recommendations among which are: Conducting a comparative study between the Holy Qur'an's handling of the morals of Christians and the handling of the same issue in the Bible, knowing the aspects of convergence and separation. The study also stressed the need for the Arabic library to conduct research that measures the reality of these morals among contemporary Christians, and the extent of their commitment to good morals and avoidance of blameworthy morals.

**Keyword:** Christians' morality, Objective interpretation, The good manners of Christians, The bad manners of Christians, How to treat Christians, Areas of dealing with Christians, The characteristics of Christians